رسائل ودراسات
في الأهواء والفرق والبدع
ومَوقف السَّلف مِنها

مناهج
أهل الأهواء والافتراق والبدع
وأصولهم وسماتهم

د. ناصر بن عبد الكريم العقل

دار الوطن

رسائل ودراسات
في الأهواء والفرق والبدع
ومَوقفُ السَّلفُ مِنهَا

الحلقة الثالثة

مناهج
أهل الأهواء والافتراق والبدع
وأصولهم وسماتهم

دكتور ناصر بن عبد الكريم العقل

دار الوطن
الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٢٠٦٨

مناهج
أهل الأهواء والافتراق والبدع
وأصولهم وسماتهم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

المقدمـــــة

الحمد لله القائل: ﴿**وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**﴾ [سورة: الأنعام،الآية: ٥٥]، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة، الذي بين للأمة طريق الخير وأمرها باتباعه، وبين مناهج الشر وحذر من سلوكها وعلى آله وصحبه وبعد:

هذه هي الحلقة الثالثة من (رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع) وموضوعها: مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع وأصولهم وسماتهم.

وكان مما دفعني إلى تخصيص هذه الحلقة في هذا الموضوع ما رأيته من خلال القراءة والسماع من اختلاط الأمور على كثير من شباب الأمة ومثقفيها ومفكريها، أعني خلطهم بين مناهج أهل الحق ومناهج أهل الباطل، وبين أصول الحق، وأصول الباطل، وبين سمات الصالحين المهتدين وسمات المنحرفين والضالين.

وما نتج عنه من عدم التفريق بين السنة وأهلها والبدعة وأهلها. بل وصل الأمر ببعض من يرفعون لواء الدعوة إلى الله أن رفعوا شعار (لا سنة ولا بدعة).

واستعار كثير منهم مناهج أهل الأهواء وأصولهم وسماتهم وسلك سبيلهم، في العقيدة والدعوة ومناهجها وأساليبها، وفي العبادات والسلوك أو بعض ذلك.

نعم لقد تأثرت كثير من الحركات الإسلامية المعاصرة بمناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع وأصولهم وسماتهم، من مقلّ أو مكثر. مما يستدعي ضرورة النصح والتحذير، ببيان مسالك أهل الأهواء قديماً، وإيضاح مناهج السلف من خلال ذلك، ومواقفهم.

هذا بالاضافة إلى أن طوائف كثيرة من المسلمين لا تزال على الأهواء والافتراق والمبتدعات، فالرفض والتشيع والزندقة والتجهم والاعتزال والخروج والتصوف والإرجاء والجبر وغيرها من أصول الافتراق لا تزال لها أتباع ودعاة وحماة.

لذا لزم البيان والله المستعان.

وقد حرصت على ذكر مناهج أهل الأهواء وسماتهم وأصولهم على جهة التفصيل من خلال النصُوص وآثار أهل العلم وأقوالهم، مع الإشارة بالمقابل إلى المنهج الحق، منهج أهل السنة والجماعة، أئمة الدين المهتدين القدوة الذين شهدت لهم الأمة بالإمامة والفضل.

كما حرصت كذلك أن يكون العرض لمذاهب أهل الضلالة متضمناً للرد دون إطالة؛ تقريباً للفائدة، ودفعاً للملل.

ومما يحسن تنبيه القارىء له أن مناهج أهل الأهواء وأصولهم وسماتهم قديماً وحديثاً واحدة، إنما قد تختلف الشعارات والأساليب والوسائل مع اختلاف الزمان والمكان. بل إن أصول الانحراف في جميع الأمم والديانات قديماً قبل الإسلام وبعده متشابهة يدل لذلك قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع...» الحديث[1]. فقوله ﷺ: «**شبراً بشبر وذراعاً بذراع**» يدل على تطابق الوصف، وتوافق المناهج، واتفاق أصول الانحراف والضلالة في الأمم كلها.

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي

---

(١) أخرجاه في الصحيحين: راجع ص (٤٨) الحلقة الأولى.

خطئي وتقصيري.

كما أسأله تعالى أن يهدي ضال المسلمين، وأن يجمع كلمتهم على الحق، ويصلح أحوالهم ويهديهم سبيل الرشاد؛ وأن يوفق علماءهم ودعاتهم، وينجز لهم ما وعدهم، وصلى الله وسلم وبارك على خير الخلق نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه

ناصر بن عبد الكريم العقل

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

تمهيـــد

ويشمل : ضوابط عامة بين يدي الكتاب وهي:

أ - المقصود بالمناهج:

أعني بمناهج أهل الأهواء والافتراق: طريقتهم في تلقي الدين وتقريره، ووسائلهم وأساليبهم في ذلك، ويشمل ذلك:

مصادرهم وطريقتهم في الاستدلال.

وأصولهم وطريقتهم في تقرير عقائدهم وبدعهم، والدعوة إليها والدفاع عنها.

كما يشمل مواقفهم من القرآن والسنة وآثار السلف.

ومواقفهم من الآخرين، بما في ذلك موقفهم من أهل السنة وموقفهم من خصومهم، ومواقف بعضهم من بعض.

وطريقتهم في التعامل مع الأحداث والقضايا التي تهم الأمة.

ب - المقصود بالسمات:

السمات أعني بها العلامات والخصائص التي تميزهم، أو أكثرهم، أو بعضهم (وهذا قليل)، سواء كانت سلوكية أو عقدية، أو تعبدية، أو أخلاقية، أو علمية، أو نحوها، (سوى المناهج).

جـ - أن الحكم على الغالب:

الحكم في هذه المناهج والسمات على الأغلب من أهل الأهواء والافتراق لا على جميعهم، إذ قد تتخلف فرقة أو طائفة أو أكثر في بعض المناهج أو الصفات أو الخصائص.

كما أن هذه الأحكام لا تشمل جميع أشخاصهم، وإنما الحكم على أصولهم ورؤوسهم ومناهجهم وعمومهم (غالبيتهم).

فمثلاً عندما نقول: إن من سمات أهل الأهواء والفرق الكذب، فإن هذا لا يشمل جميع الفرق ولا جميع الأشخاص من أهل الأهواء، إنما يشمل الأغلب. فالخوارج لم يعرف عنهم الكذب، أما الرافضة والجهمية والمعتزلة والباطنية وغلاة المتصوفة، وغلاة المتكلمين والفلاسفة فقد جرب عليهم الكذب، وهم يتفاوتون في ذلك، فالرافضة الأصل في أصولهم الاعتماد على الكذب، أما غيرهم فهم دونهم على تفاوت بينهم كذلك.

د - الحكم على الرؤوس والأتباع مقلدون غالباً:

ثم إن أكثر هذه الأمور التي سأذكرها في المناهج والسمات الحكم فيها مستنتج من خلال أعمال شيوخهم ورؤوسهم ومنظريهم سواء عمت سائر الأتباع أم لا؛ لأن الأتباع الذين لم يخترعوا ولم يبتدعوا ولم يؤصلوا ولم ينظروا إنما هم بحكم الرعاع التابع والهمج المقلِّد، إنما هم أهل أهواء وبدع وافتراق بالتبع وحكمهم في العموم حكم متبوعهم، كما أسلفت في الحلقة الأولى[1].

هـ صعوبة التمييز بين السمات والمناهج:

ونظراً لأني وجدت -بعد النظر والتأمل- أنه من الصعب الفصل بين المناهج والسمات؛ لأن بعض المناهج تعد سمات، وبعض السمات تعد مناهج، وأكثر المناهج تستلزم بعض السمات، وأكثر السمات يتضمن بعض المناهج، فقد رأيت أن أدمجها في سياق واحد مع الإشارة إلى كل فقرة ما إذا كانت منهجاً أو سمة أو هما معاً. على وجه التغليب لا الجزم.

---

(١) انظر ص ١٤٤ - ١٤٦ من الحلقة الأولى من هذه الرسائل.

هذا وسأعرض المناهج والسمات إجمالاً في فصل مستقلٍّ ابتداءً، ثم أذكر شيئاً منها على جهة التفصيل مع الاستشهاد بالنصوص أو أقوال الأئمة في ذلك.

سائلاً الله تعالى العون والتوفيق والسداد والرشاد.

أولاً - الملامح العامة لمناهج أهل الأهواء وأصولهم وسماتهم:

يمكن تلخيص السمات العامة والأصول والمناهج لأهل الأهواء بالأمور التالية:

أ - ما تتميز به كل فرقة:

رغم أن غالب السمات لأهل الأهواء تشمل سائرهم إلا أن المتأمل لحال كل فرقة من الفرق الكبرى يجد لها سمات تميزها عن الفرق الأخرى، على النحو التالي:

١ - فالجهمية تتميز بالتعطيل (أي إنكار أسماء الله وصفاته والسمعيات).
٢ - والمعتزلة تتميز بالقدر وإنكار صفات الله تعالى وبعض السمعيات.
٣ - والخوارج تتميز بالتكفير والخروج، والتشدد في الدين.
٤ - والرافضة تتميز بالكذب وقصب السَّلف (أي سب الصحابة وأئمة الهدى)، والتقية (النفاق) والشركيات والبدع والمقابرية[1].
٥ - والصوفية تتميز بالتلوُّن والابتداع، والأوراد البدعية والقصائد البدعية والغناء والمقابرية.
٦ - والباطنية تتميز بالزندقة والإلحاد والغَدْر.
٧ - والفلاسفة تتميز بتجهيل الأنبياء وأتباعهم، والإعراض عن الدين.
٨ - والفرق الكلامية (الأشاعرة والماتريدية) تتميز بالتأويل والإرجاء.
٩ - والاتجاهات الفكرية والأدبية تتميز برقة الدين وقلة الفقه فيه غالباً.

---

(١) المقابرية: التعلق ببدع القبور والمشاهد.

ب - الأصول والمناهج والسمات العامة لسائر أهل الأهواء والافتراق:

وتتمثل في:

١ - الخلط في مصادر التلقي:

المنهج الحق منهج السلف، أهل السنة والجماعة يقوم على: أن مصادر الدين: الكتاب والسنة، والإجماع (وهو مبني عليهما)، وما عدا ذلك فهو باطل؛ لأنه بموت النبي ﷺ انقطع الوحي، وقد أكمل الله تعالى الدين، قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾ [سورة: المائدة، آية: ٣]، والرسول ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وقال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»(١).

والدين الحق يقوم على التسليم والتصديق والاتباع، وهو دين الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ بالوحي وأكمله فليس لأحد أن يحدث شيئاً زاعماً أنه من الدين لأن النبي ﷺ قال: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)(٢).

أما أهل الأهواء فقد تفرقت بهم السبل في مصادر تلقي الدين فجعلوا من مصادر الدين:

١ - العقليات والأوهام والظنون (لدى سائر الفرق) وهي من وساوس الشياطين وأوليائهم، ومن اتباع الظن وما تهوى الأنفس.

٢ - الفلسفة (لدى سائر الفرق) وتقوم على أفكار الملاحدة والمشركين من الصابئة واليونان والهنود والدهريين ونحوهم.

---

(١) صحيح الجامع الصغير (٢٩٣٤) ٣/ ٣٩.

(٢) متفق عليه.

٣ - عقائد الأمم الأخرى ومصادرها (لدى سائر الفرق) مثل كتب أهل الكتاب وأقوالهم، والمجوس والصابئة، والديانات الجاهلية.

٤ - الوضع والكذب (لدى الرافضة والصوفية وغالب الفرق)ومصدره الزنادقة ورؤوس أهل البدع، فإنهم يكذبون على النبي ﷺ وعلى الصحابة والتابعين وأئمة الهدى وسائر الناس، ومن ناحية أخرى قد يضعون الأحاديث والروايات بأسانيد وهمية.

٥ - الرؤى والأحلام والكشف والذوق (لدى الصوفية والرافضة) ومصدرها الأهواء وإيحاء الشياطين.

٦ - المتشابه والغريب والشاذ من الأدلة الشرعية واللغة وأقوال الناس (لدى سائرهم).

٧ - الاعتماد على آراء الرجال دون عرضها على الشرع، أو القول بعصمتهم وتقديسهم (لدى الرافضة والصوفية وسائر الفرق).

٢ - الخلل في منهج الاستدلال:

قبل أن أعرض مناهج أهل الأهواء في الاستدلال ينبغي أن أذكر المنهج الشرعي السليم ليكون الميزان وهو:

منهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة يقوم على الأسس التالية:

١ - حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الوحي) في الدين.

٢ - مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات، والعموم والخصوص، ويقولون بالنسخ ونحو ذلك.

٣ - يعملون بكل ما صح من الأدلة الشرعية دون تفريق بين آحاد وغيره.

٤ - يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم؛ لأنها لغة القرآن والسنة، ويردون ما يخالف ذلك.

٥ - يعتمدون تفسير الصحابة وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ وعاشوا وقت تنزل الوحي، وأعلم باللغة ومقاصد الشرع، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين هم بهم مقتدون.

٦ - ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به وما اشتبه عليهم علمه كبعض نصوص الغيبيات والقدر يسلمون به ويردون علمه إلى الله -سبحانه وتعالى- ولا يخوضون فيه.

٧ - يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) لاحتمالها للخطأ والصواب؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمال.

٨ - يتجنبون المراء والخصومات، ولا يجادلون إلا بالتي هي أحسن.

٩ - ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع، وبين الحقيقة والشريعة، وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل فهو من عجز عقولهم وقصورها.

١٠ - يتجنبون التأويل -بغير دليل شرعي صريح- لأنه قول على الله بغير علم.

١١ - يعنون بالإسناد وثقة الرواة وعدالتهم لحفظ الدين.

أما منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع والافتراق إجمالاً فإنه يقوم على الأسس التالية:

١ - عدم حصر الاستدلال على الدليل الشرعي، حتى في العقائد (وهي توقيفية) فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام، والفلسفات، ويسمونها (العقليات) كما يستدلون بالحكايات والأساطير وما لا أصل له، وبالأحاديث الموضوعة والآثار المكذوبة، وآراء الرجال في الدين، وما يسمونه الكشف والذوق والأحلام ونحو ذلك.

٢ - لا يراعون قواعد الاستدلال، فيتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [سورة: آل عمران من الآية: ٧]، ويستدلون بالمجمل ولا يردونه إلى المبين، ولا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، ولا النفي والإثبات، ولا العموم والخصوص.

٣ - يردون ما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع.

٤ - يفسرون نصوص الشرع بأهوائهم فلا يعتمدون تفسير بعضها ببعض، ولا يعتمدون معاني اللغة.

٥ - لا يعتمدون تفسير الصحابة والسلف ولافهمهم للنصوص ولا آثارهم وعملهم وهديهم، بل يجانبونهم، ويتبعون غير سبيل المؤمنين.

٦ - يخوضون فيما نهى الله عنه من نصوص القدر والصفات والسمعيات

ونحوها ﴿ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله﴾[سورة : آل عمران، من الآية: ٧].

٧ - يعتمدون الألفاظ البدعية في الصفات وسائر العقيدة (كالجسم والعرض والجوهر).

٨ - يقوم منهجهم على المراء والخصومات والجدال بالباطل.

٩ - يتوهمون التعارض بين العقل والشرع، وبين الحقيقة والشريعة. وبين أصولهم والشرع. ثم يحكِّمون أهواءهم وأصولهم وعقلياتهم الفاسدة ، ويقدمونها على الشرع.

١٠ - يعتمدون التأويل في العقيدة، ويقولون على الله بغير علم ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[سورة : آل عمران، من الآية: ٧].

١١ - ليس لهم عناية بالإسناد لتعويلهم على الأهواء وآراء الرجال والوضع وما لا أصل له.

جـ - أنواع المناهج عند أهل الأهواء (في التلقي والاستدلال):

ومن جانب آخر يمكن أن نقسم مناهج أهل الأهواء في التلقي والاستدلال إلى ثلاثة مناهج رئيسة:

المنهج الأول: المنهج الحرفي - في الموقف من النصوص وتفسيرها، والاستنباط منها، كما عند الخوارج والظاهرية. فلا يعولون على فقه النصوص والاستنباط منها كما يفعل السلف.

المنهج الثاني: المنهج التأويلي - أي تأويل النصوص على غير ما هو معروف عند أهلها (كالصحابة والتابعين وأئمة الدين واللغة) لتسلم أصولهم الفاسدة كما عند الجهمية والمعتزلة، ثم أهل الكلام من متأخري الأشاعرة والماتريدية وبعض الصوفية والشيعة ومتأخري الخوارج.

المنهج الثالث: المنهج الباطني والإشاري والرمزي - أي اعتقاد أن

النصوص لها تفسير باطني مخالف لمعانيها الظاهرة المفهومة لدى السامعين، توافق أصولهم الفاسدة، كما عند الرافضة، والباطنية والفلاسفة، وغالب الصوفية، وأهل الحداثة.

هذا ...

وفي المبحث الثاني سأعرض بعض الأمور التفصيلية في مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع، وسماتهم، مع الاستشهاد بالنصوص، وأقوال أهل العلم، وضرب بعض الأمثلة والشواهد بما يتسع له البحث إن شاء الله .

ثانياً - مناهج أهل الأهواء والبدع والافتراق وسماتهم تفصيلاً:

مناهج أهل الأهواء في الدين كثيرة ومضطربة ومتناقضة في مفرداتها، لكنها تتشابه في أصولها العامة، وببعض الاستقراء والبحث، وجمع طائفة من أقوال أهل العلم تحصَّل عندي جملة من مناهج أهل الأهواء وسماتهم وأصولهم التي فارقوا بها السنة والجماعة وسبيل المؤمنين ونهج المرسلين في الدين ومن ذلك:

(١) الخلل والإخلال في منهج التلقي والاستدلال، ومن ذلك:

١ - رد النصوص التي تخالف أصولهم (منهج وسمة):

من المناهج العامة والسمات المشتركة لعامة أهل الأهواء أنهم يردون نصوص الوحي من القرآن والسنة إذا خالفت أهواءهم، أو عارضت أصولهم الفاسدة، وقواعدهم الباطلة وفي ذلك يقول الشاطبي:

«ومنها ضد هذا. وهو ردهم للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدعون أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل، فيجب ردها. كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله -عز وجل- في الآخرة، وكذلك حديث الذباب وقتله، وأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء. وأنه يقدم الذي فيه الداء. وحديث الذي أخذ أخاه بطنه فأمره النبي ﷺ بسقيه العسل، وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول، ربما قدحوا في الرواة من الصحابة والتابعين -رضي الله تعالىٰ عنهم- وحاشاهم- وفيمن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم»[1].

---

(١) الاعتصام ١ / ٢٣١ .

وتبعاً لذلك يردون أقوال الصحابة وآثار السلف، وفقههم للنصوص، مع أن الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام، أعلم من أهل الأهواء -بالضرورة- بمراد الله وأفقه لدين الله، ومنهجهم في الدين أعلم وأسلم وأحكم. لكن أهل الأهواء لا يفقهون.

يقول الشاطبي عن أهل البدع: «وربما ردوا فتاويهم - يعني الصحابة والتابعين - وقبحوها في أسماع العامة، لينفروا الأمة عن اتباع السنة وأهلها، كما روي عن أبي بكر بن محمد أنه قال: قال عمرو بن عبيد: «لا يعفى عن اللص دون السلطان» - قال: فحدثته بحديث صفوان بن أمية عن النبي ﷺ حيث قال: «**فهلا قبل أن تأتيني به**» قال: أتحلف بالله أن النبي ﷺ قاله؟ قلت: أتحلف أنت بالله أن النبي ﷺ لم يقله؟ فحدثت به ابن عوف قال: فلما عظمت الحلقة قالوا: يا أبا بكر حدث. وقد جعلوا القول بإثبات الصراط والميزان والحوض قولاً بما لا يعقل، وقد سئل بعضهم: هل يكفر من قال برؤية الباري في الآخرة؟ فقال: لا يكفر؛ لأنه قال ما لا يعقل، ومن قال بما لا يعقل فليس بكافر. وذهبت طائفة إلى نفي أخبار الآحاد جملة، والاقتصار على ما استحسنته عقولهم في فهم القرآن، حتى أباحوا الخمر بقوله: ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا**﴾ الآية، ففي هؤلاء وأمثالهم قال رسول الله ﷺ: «**لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**» وهذا وعيد شديد تضمنه النهي لاحق لمن ارتكب رد السنة»[1].

وقال: «أن عامة المبتدعة قائلة بالتحسين والتقبيح، فهو عمدتهم الأولى وقاعدتهم التي يبنون عليها الشرع، فهو المقدم في نحلهم بحيث لا يتهمون

---

(١) الاعتصام ١ / ٢٣٢ .

العقل، وقد يتهمون الأدلة إذا لم توافقهم في الظاهر، حتى يردوا كثيراً من الأدلة الشرعية، وقد علمت -أيها الناظر- أنه ليس كل ما يقضي به العقل يكون حقاً. ولذلك تراهم يرتضون اليوم مذهباً ويرجعون عنه غداً، ثم يصيرون بعد غد إلى رأي ثالث»[1].

وقال:

«ومنه دعاوي أهل البدع على الأحاديث الصحيحة مناقضتها للقرآن، أو مناقضة بعضها بعضاً، وفساد معانيها أو مخالفتها للعقول -كما حكموا بذلك في قوله ﷺ للمتحاكمين إليه: «**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله: مائة الشاة والخادم ردٌّ عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، وعلى المرأة هذه الرجم واغدُ يا أُنَيْس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها فغدا عليها فاعترفت، فرجمها**» - قالوا: هذا مخالف لكتاب الله؛ لأنه قضى بالرجم والتغريب، وليس للرجم ولا التغريب في كتاب الله ذكر، فإن كان الحديث باطلاً فهو ما أردنا، وإن كان حقاً فقد ناقض كتاب الله بزيادة الرجم والتغريب»[2].

وقال شيخ الإسلام في أهل الأهواء:

«يردون الأحاديث التي تعارض مقولاتهم -وإن كانت صحيحة- كما فعل الجبّائي في رد حديث احتجاج آدم وموسى»[3].

قلت: هذا مجرد مثال لا يخص شخصاً أو أشخاصاً منهم بل نجد أن رد الأحاديث من أصول أهل الأهواء ومناهجهم وسماتهم الثابتة، كما فعلت

---

(١) الاعتصام ١ / ١٤٤ .

(٢) الاعتصام ١ / ٢٤٦ .

(٣) انظر منهاج السنة ٣ / ٧٩

القدرية في رد أحاديث القدر كحديث الصادق المصدوق.

وكما فعلت الجهمية والمعتزلة في رد أحاديث الرؤية والشفاعة، وأحاديث الصفات.

وكما فعلت الخوارج في رد أحاديث الوعد والشفاعة.

وكما فعلت الرافضة في رد سائر السنة التي رواها الصحابة.

وكما فعلت الصوفية والمقابرية في رد الأحاديث التي تنهى عن الابتداع.

ومن ذلك استدلالهم بالضعيف والموضوع وما لا أصل له، وترك الدليل الأقوى والأصح .

قال شيخ الإسلام:

«ومن ذلك أن أحدهم يحتج بكل ما يجده من الأدلة السمعية، وإن كان ضعيف المتن والدلالة، ويدع ما هو أقوى وأبين من الأدلة العقلية، إما لعدم علمه بها، وإما لنفوره عنها، وإما لغير ذلك، وفي مقابلة هؤلاء من المنتسبين إلى الإثبات، بل إلى السنة والجماعة أيضاً، من لا يعتمد في صفات الله على أخبار الله ورسوله، بل قد عدل عن هذه الطريق وعزل الله ورسوله عن هذه الولاية، فلا يعتمد في هذا الباب إلا على ما ظنه من المعقولات، ثم هؤلاء مضطربون في معقولاتهم أكثر من اضطراب أولئك في المنقولات، تجد هؤلاء يقولون: إنا نعلم بالضرورة أمراً، والآخرون يقولون: نعلم بالنظر أو بالضرورة ما يناقضه، وهؤلاء يقولون: العقل الصريح لا يدل إلا على ما قلناه، والآخرون يناقضوهم في ذلك»[1].

وقال: «وأهل الكلام الذين ذمَّهم السلف لا يخلو كلام أحدٍ منهم عن

---

(١) الصفدية ١ / ٢٩٤ .

مخالفة السنة، وردٌّ لبعض ما أخبر به الرسول، كالجهمية والمشبِّهة، والخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة»[1].

لذلك كان السلف يتهمون كل من تردد في قبول الأحاديث أو ردَّ شيئاً منها.

قال البربهاري: «وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام، فإنه رجل رديء المذهب والقول»[2].

٢ - دعـوى بعضهم أن النصوص لا تفي بالدين وتفصيلات العقائد (منهج):

وهم في هـذا صنفان: صنف يقول به صراحـة. وصنف يُعَدُّ ذلك من لوازم مذهبه، قال شيخ الإسلام في قـول بعض أهل الكلام وغيرهم بأن النصوص لا تفي بالشريعة كلها، أو قولهم بأن النصوص لا تفي بعشر معشار الشريعة:

«هذا القـول قالـه طائفة من أهل الكلام والرأي كأبي المعالي وغـيره، وهو خطأ، بل الصـواب الـذي عليه جمهور أئمة المسلمـين أن النصوص وافية بجمهور أحكام أفعال العباد. ومنهم مـن يقـول: إنها وافية بجميع ذلك، وإنما أنكر ذلك من أنكره لأنـه لم يفهم معاني النصوص العامة التي هي أقوال الله ورسوله وشمولها لأحكام أفعال العباد، وذلك أن الله بعث محمداً ﷺ بجوامع الكلم فيتكلم بالكلمة الجامعة العامة التي هي قضية كلية وقاعدة عامة تتناول أعياناً لا تحصى، فبهذا الوجه تكون النصوص محيطة

---

(١) درء التعارض ٧ / ١٨٢ .

(٢) شرح السنة للبربهاري ٣٥ .

بأحكام أفعال العباد»[1].

وقال الشاطبي:

«وثبت أن النبي ﷺ لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا، وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة، فإن كان كذلك، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياءُ يجب أن يستحب استدراكها؛ لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم. قال ابن الماجشون: سمعت مالكاً يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً»[2].

٣ - ومن ذلك رد الوحي بقواعد محدثة وأوهام (منهج):

أهل الأهواء لا يتورعون عن رد الوحي المنزل من الله تعالى بقواعدهم الفاسدة المحدثة ، وفي هذا مشاقة لله تعالى وللرسول ﷺ. يقول الشاطبي: (والثالث) أن المبتدع معاند للشرع ومشاق له؛ لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقاً خاصة على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعديها، إلى غير ذلك؛ لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين، فالمبتدع راد لهذا كله، فإنه يزعم أن ثم طرق أُخر»[2].

وقال ابن القيم: «وجاء أفضل متأخريهم[3] فنصب على حصون الوحي

---

(١) الفتاوى ١٩ / ٢٨٠ .

(٢) الاعتصام ١ / ٤٩ .

(٣) يقصد أمثال أبي المعالي الجويني وابن الخطيب الرازي قبل رجوعهما عن الكلام.

أربعة مجانيق:

الأول: أنها أدلة لفظية لا تفيد اليقين.

الثاني: أنها مجازات واستعارات لا حقيقة لها.

الثالث: أن العقل عارضها فيجب تقديمه عليها.

الرابع: أنها أخبار آحاد، وهذه المسائل علمية فلا يجوز أن يحتج فيها بالأخبار»[1].

وقال ابن القيم أيضاً:

«إن هؤلاء المعارضين للوحي بعقولهم ارتكبوا أربع عظائم: إحداها: ردهم نصوص الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم، الثانية: إساءة الظن [به]، وجعله منافياً للعقل، مناقضاً له، الثالثة: جنايتهم على العقل بردهم ما يوافق النصوص من المعقول، فإن موافقة العقل للنصوص التي زعموا أن العقل يردها أظهر للعقل في معارضته لها، الرابعة: تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم لمن خالفهم في أصولهم التي اخترعوها، وأقوالهم التي ابتدعوها، مع أنها مخالفة للعقل والنقل، فصوبوا رأي من تمسك بالقول المخالف للعقل والنقل، وخطَّؤوا من تمسك بما يُوافِقُها، وراج ذلك على من لم يجعل الله له نوراً، ولم يشرق على قلبه نور النبوة»[2].

أنهم جعلوا ظنونهم وأوهامهم (يقينيات) وجعلوا (كلام الله ورسوله) ظنيات، وهذا غرور وتخليط، فكان أسلافهم الفلاسفة القدامى خيراً منهم حين قرروا أن العلم الإلهي لا سبيل إلى اليقين فيه، إنما الغاية من الكلام فيه الأخذ بالأولى والأخلق، كما ذكر ذلك الرازي في المطالب العالية لكنه يخالف

---

(١) الصواعق ٣ / ١٠٣٩ .

(٢) الصواعق المرسلة ٢ / ٩٨٨،٩٨٩ .

ذلك في مسلكه الكلامي أحياناً ويضطرب في غالب الأحيان[1].

٤ - فساد تصورهم عن النبوة ومن ثم الوحي وكلام الله (منهج وسمة):

من أسباب تمادي أهل الأهواء في ضلالاتهم، أنهم يضعون القاعدة الفاسدة، ويبنون عليها أحكاماً فاسدة كذلك، ثم يجرهم ذلك إلى قواعد جديدة باطلة وهكذا تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه. ومن ذلك تصورهم الفاسد عن حقيقة النبوة.

قال ابن القيم: «وكذلك الطريق التي سلكوها في إثبات النبوة ، لم يثبتوا بها نبوة في الحقيقة، فإنهم بنوها على مجرد خرق العادة، وهو مشترك بين النبي وغيره، وحاروا في الفرق، فلم يأتوا فيه بما يثلج له الصدر، ولا يحصل به برد اليقين، مع أن النبوة التي أثبتوها لا ترجع إلى وصف وجودي، بل هي تعلق الخطاب الأزلي بالنبي، والتعلق عندهم أمر عدمي فعادت النبوة عندهم إلى أمر عدمي، وقد صرحوا بأنها لا ترجع إلى صفة ثبوتية قائمة بالنبي، وأيضاً فحقيقة النبوة والرسالة إنباء الله سبحانه وتعالى لرسوله وأمره بتبليغ كلامه إلى عباده وعندهم أن الله لا يتكلم، ولا يقوم به كلام»[2].

٥ - تركهم للسنة والآثار إذا لم توافق هواهم، وزعمهم الاكتفاء بالقرآن (منهج وسمة):

هذه السمة وإن لم تكن مطردة عند أكثر أهل الأهواء، إلا أنهم يلجؤون إليها عندما تتصادم أصولهم الفاسدة مع الأحاديث الصحيحة.

يقول البربهاري:

«إذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده، ويريد القرآن فلا تشك أنه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٢ / ٢٥٢ (اللاحم) وانظر المطالب العالية ١ / ٤١ وما بعدها.
(٢) الصواعق ٣ / ٩٨٧ .

رجل قد احتوى على الزندقة، فقم من عنده ودعه»[1].

فهم يزعمون أنهم يكتفون بالقرآن، وهذا حجة عليهم، فإن القرآن أوجب طاعة الرسول ﷺ واتباعه، وسؤال أهل الذكر، واتباع سبيل المؤمنين، وقد حذر النبي ﷺ من هؤلاء الذين يزعمون الاكتفاء بالقرآن .

٦ - الطعن في خبر الآحاد (منهج):

كان الصحابة والتابعون وسائر السلف في القرون الثلاثة وما بعدها يأخذون بكل ما صح عن رسول الله ﷺ دون تفريق بين الآحاد وغيره، ودون تفريق بين العمل والاعتقاد ولم يخالف في ذلك إلا طوائف من الجهمية والمعتزلة والخوارج ومن سلك سبيلهم، ثم تجرأ أهل الكلام المتأخرون على ذلك، ومن أشهر من طعن في خبر الآحاد الرازي، وهو منهج أهل الكلام من الأشاعرة ومن سلك سبيلهم، يقول الرازي: «إن أخبار الآحاد مظنونة فلم يجز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته»[2].

ثم قال: «إن أجل طبقات الرواة قدراً وأعلاهم منصباً الصحابة -رضي الله عنهم- ثم إنا نعلم أن روايتهم لا تفيد القطع واليقين»[3] وذكر أن سبب ذلك طعن بعضهم ببعض، وكلامه يشبه كلام الرافضة هنا حيث سرد أموراً زعم أنها مطاعن في الصحابة، وأن بعضهم يطعن في بعض[4] ثم هو يلمز السلف رواة الحديث، بأنهم راجت عليهم -لسلامة قلوبهم- الأحاديث المنكرة حيث يقول: «وأن جماعة من الملاحدة وضعوا أخباراً منكرة واحتالوا في

---

(١) شرح السنة للبربهاري ٥٤ .
(٢) أساس التقديس ١٦٨ .
(٣) أساس التقديس ١٦٩، ١٧٠ .
(٤) أساس التقديس ١٦٩، ١٧٠ .

ترويجها على المحدثين، والمحدثون لسلامة قلوبهم ما عرفوها، بل قبلوها»[1].

قلت: حسبنا الله ونعم الوكيل. فإذا كانت هذه حال رواة الأحاديث العدول الثقاة عند الرازي وأمثاله فما بقي للأمة من دينها؟ وكذلك البغدادي وهو من رؤوس أهل الكلام (الأشاعرة) يقول:

«وأما أخبار الآحاد فمتى صح إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم»[2]، قلت: والحمد لله أنه ليس في أخبار الآحاد الثابتة ما يحيله العقل اللهم إلا العقول الفاسدة ولا اعتبار لها فتأمل حفظك الله.

وهذا الذي يزعمونه خلاف منهج السلف كما أسلفت، فإن التفريق بين خبر الآحاد وغيرها حادث قالت به الجهمية والمعتزلة أولاً، ثم ورثه عنهم أهل الكلام، قال ابن عبد البر:

«وكلهم -يعني أهل الفقه والأثر- يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ويعادي ويوالي عليها ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده، وعلى ذلك جماعة أهل السنة»[3].

فالزم ذلك وفقني الله وإياك.

وقال شيخ شيخ الإسلام:

«بإزاء هؤلاء المكذبين بجنس الحديث ومن يقول عن أخبار الصحيحين وغيرهما: هذه أخبار آحاد لا تفيد العلم، وأبلغ من هؤلاء من يقول: دلالة

---

(١) أساس التقديس ١٦٨ .

(٢) الفرق ٣٢٥ .

(٣) التمهيد ١ / ٨، وانظر عقيدة الإمام ابن عبد البر للدكتور سليمان بن صالح الغصن ص١٠٥ .

القرآن لفظية سمعية، ودلالة السمعية اللفظية لا تفيد اليقين ويجعلون العمدة على ما يدعونه من العقليات، وهي باطلة فاسدة، منها ما يعلم بطلانه وكذبه. وهؤلاء أيضاً قد يكفرون من خالف ذلك، كما فعل أولئك وكلا الطريقين باطل ولو لم يكفر مخالفه، فإذا كفر مخالفه صار من أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها كما فعلت الخوارج وغيرهم»[1].

وقال شيخ الإسلام أيضاً:

«ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً به أنه يوجب العلم، هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك، ولكن كثيراً من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء، وأهل الحديث والسلف على ذلك وهو قول أكثر الأشعرية كأبي إسحاق وابن فورك، وأما ابن الباقلاني فهو الذي أنكر ذلك، وتبعه مثل أبي المعالي وأبي حامد وابن عقيل وابن الجوزي وابن الخطيب والآمدي، ونحو هؤلاء، والأول هو الذي ذكره الشيخ أبو حامد وأبو الطيب وأبو إسحاق وأمثاله من أئمة الشافعية، وهو الذي ذكره القاضي عبد الوهاب وأمثاله من المالكية، وهو الذي ذكره أبو يعلى وأبو الخطاب وأبو الحسن بن الزاغوني وأمثالهم من الحنبلية، وهو الذي ذكره شمس الدين السرخسي، وأمثاله من الحنفية، وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجباً للقطع به فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم بالحديث كما أن الاعتبار في الإجماع على الأحكام بإجماع أهل العلم بالأمر والنهي والإباحة»[2].

---

(١) الفتاوى ١٦ / ٤٣٢، ٤٣٣ .

(٢) الفتاوى ١٣ / ٣٥١، ٣٥٢ .

٧ - أهل الأهواء يدَّعون أن نصوص الصفـــات ونحوها من المتشابه (منهج):

أهل الأهواء حين حادوا عن سبيل الحق وهو الإقرار بصفات الله تعالى كما جاءت، أولوها واشتبهت عليهم نصوصها المحكمة وقد خبرنا الله عنهم محذراً قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [سورة: آل عمران، من الآية: ٧].

يقول ابن رشد الحفيد في ذلك:

«وهؤلاء أهل الجدل والكلام، وأشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف أنهم تأولوا كثيراً مما ظنوه ليس على ظاهره، وقالوا: إن هذا التأويل هو المقصود به، وإنما أتى الله به في صورة المتشابه ابتلاء لعباده واختباراً لهم، ونعوذ بالله من هذا الظن بالله، بل نقول: إن كتاب الله العزيز إنما جاء معجزاً من جهة الوضوح والبيان، فإذاً ما أبعد مِن مقصد الشرع مَنْ قال فيما ليس بمتشابه: إنه متشابه ثم إنه أوَّل ذلك المتشابه بزعمه، وقال لجميع الناس: إن فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل مثل ما قالوه في آيات الاستواء على العرش وغير ذلك مما قالوا: إن ظاهره متشابه»[1].

٨ - دعواهـــم أن الأدلة الشرعية ظنية وأن معقولاتهم وأوهامهم قطعية (منهج):

ومن مناهج أهل الأهواء الفاسدة التي طعنوا فيها بدلالة النصوص الشرعية زعمهم أن الأدلة الشرعية ظنية، مع العلم أن زعمهم هذا يستهدف العقيدة ونصوصها، وهذه الدعوى تهز الاعتقاد واليقين، فلهذا اهتزت

---

(١) مناهج الأدلة لابن رشد. ص ١٨٠، وانظر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢ / ٤١٣، ٤١٤ تحقيق د/ علي الدخيل الله.

عقائدهم ووقعوا في الحيرة والاضطراب كما فعل الرازي في أساس التقديس. حيث زعم أن الدلائل اللفظية (يعني النصوص الشرعية) لا تكون قطعية[1].

يقول الشاطبي: «وربما احتج طائفة من نابتة المبتدعة على رد الأحاديث بأنها إنما تفيد الظن» وقد ذم الظن في القرآن، كقوله تعالى: ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس**﴾ وقال ﴿**إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً**﴾ وما جاء في معناه. حتى أحلوا أشياء مما حرمها الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، وليس تحريمها في الكتاب نصاً، وإنما قصدوا من ذلك أن يثبت لهم من أنظار عقولهم ما استحسنوا والظن المراد في الآية وفي الحديث أيضاً غير ما زعموا، وقد وجدنا له محال ثلاثة: (أحدها): الظن في أصول الدين فإنه لا يغني عند العلماء لاحتماله النقيض عند الظان، بخلاف الظن في الفروع فإنه معمول به عند أهل الشريعة للدليل الدال على إعماله، فكان الظن مذموماً إلا ما تعلق منه بالفروع. وهذا صحيح ذكره العلماء في الموضع»[2].

٩ - استعمال الأقيسة العقلية في صفات الله وسائر أصول العقيدة (منهج):

من المعلوم أن المذهب الحق أن العقيدة غيبية توقيفية لا مجال للعقول فيها إلا بالتسليم للنصوص الثابتة، لأن العقول والأفكار لا تحيط بالغيب، وأن القاعدة الشرعية أن الله له المثل الأعلى من كل شيء فلا يقاس بغيره ولا يقاس به غيره[3]. إلا أن أهل الأهواء قاسوا الله تعالى بخلقه في نفس الوقت الذي زعموا فيه الهروب من الإثبات خوفاً من التشبيه، فقد قالوا في الصفات

---

(١) راجع أساس التقديس للرازي ص ١٨٢ .

(٢) الاعتصام ١ / ٢٣٥ .

(٣) انظر درء التعارض ١ / ٢٩ .

بمقاييس عقلية ومن ذلك:

مقولتهم[1]: «أن الجسم لا يخلو عن الأعراض التي هي الصفات، وأن ما لا يخلو عن الصفات فهو محدث؛ لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون إلا محدثة ولأجلها التزم جهم التعطيل وفناء الجنة والنار»[2]. ثم التزم المعتزلة نفي الصفات، ثم التزم الكلابية والأشاعرة والماتريدية نفي أفعال الله الاختيارية، وتأويل الصفات.

«والتزم أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة[3]».

وهكذا كما التزم أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي الصفات أو بعضها، التزموا كذلك القول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة، وإنكار العلو على العرش[4].

ومن ذلك قولهم: «إن اليد والعين والوجه جوارح وأعضاء» والله منزه عن الأعضاء والجوارح وعليه فليس لله يد ولا عين ولا وجه. فردوا ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ بالأقيسة العقلية.

ولذلك قال شيخ الإسلام: «التمسك بالأقيسة مع الإعراض عن النصوص والآثار طريق أهل البدع»[5].

والمتأمل لحال أهل الكلام يجد أنهم ما نفوا صفات الله تعالى إلا حينما قاسوها على صفات الخلق وأفعالهم ولم يعتقدوا أنه الله تعالى ﴿**ليس كمثله شيء**﴾.

---

(١) انظر درء التعارض ١/ ٢٩ .
(٢) المصدر السابق ٤ / ٣٩ .
(٣) المصدر السابق ١ / ٤٠ .
(٤) انظر المصدر السابق ٤٠، ٤١ .
(٥) الفتاوى ٧ / ٣٩٢ .

١٠ - اعتمادهم على التأويل والتعطيل في صفات الله تعالى وسائر العقيدة (منهج):

فالتأويل من أخطر مناهج أهل الأهواء، فهو وسيلتهم لرد دلالة النصوص وتعطيل معانيها، دون تعرض لإنكارها وردها بالكلية، ومن ذلك:

تحريف التأويل وتحريف التنزيل، قال تعالى: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ من الْكِتَابِ﴾ [سورة: آل عمران، الآية: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ منْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عَندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُوْلُو الأَلْبَابِ﴾ [سورة: آل عمران، الآية: ٧]. ومبتدأ التأويل عند أهل الكلام كان في مسائل قليلة -كالكلام- وبحذر شديد ثم تجارت بهم الأهواء حتى فتحوا باب التأويل الفاسد.

ولما فتحوا باب التأويل لم يقف متأخروهم عند حد فأولوا جميع الصفات الخبرية حتى قال الكوثري: «وإذا صح التأويل لبرهان في شيء صح في بقية الأشياء، حتى لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ»[1]، وهذا ما كان يحذر منه السلف في تعليلهم كراهة التأويل كما ذكر شيخ الإسلام وغيره. فقد كان السلف يقولون لمبتدعة التأويل من أهل الكلام الأوائل: إذا فتحتم باب التأويل في بعض الصفات والسمعيات فمن يأمن أن يتذرع غيركم بذلك إلى التعطيل وتغيير جميع العقائد والشرائع. وقد حصل فعلاً أن عطلت الجهمية والفلاسفة والباطنية؛ قال الدارمي: «وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي قال له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجُّون بها علينا في رد مذاهبنا مما

---

(١) انظر هامش دفع شبه التشبيه ص٣٠.

لا يمكن التكذيب بها مثل: سفيان عن منصور عن الزهري، والزهري عن سالم ، وأيوب وابن عون عن ابن سيرين، وعمرو بن دينار عن جابر عن النبي ﷺ وما أشبهها؟

قال: فقال المريسي: لا تردوه تفتضحوا، ولكن غالطوهم بالتأويل، فتكونوا قد رددتموها بلطف إذ لم يمكنهم ردها بعنف، كما فعل هذا المعارض سواء...»[1].

قلت: ولما فعل ذلك بشرٌ المريسي حيث ألف كتباً في تأويل كثير من نصوص الصفات وأفعال الرب سبحانه وتعالى، تابعه آخرون ممن ينتسبون للسنة كابن الثلجي، ثم استمد ابن فورك من ابن الثلجي.

وتأثر به بعض أوائل الأشاعرة كالبيهقي، والباقلاني، والخطابي، ثم صار التأويل منهجاً للأشاعرة، ومنذ عهد الجويني (أبو المعالي) ثم الغزالي والرازي والآمدي والأيجي صار التأويل منهجاً للأشاعرة في صفات الله تعالى وأفعاله. وفتحوا أبواب التأويل على مصاريعها في الصفات وغيرها، فصار كل صاحب هوى أو شبهة أو نزعة عقلانية، يعارض ويرد ما يرده من شرع الله ونصوص الوحي بالتأويل. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال ابن القيم: «وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها، فالعيار على ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبت إليه والقواعد التي أصلتها، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلا تأولوه. ولهذا لما أصلت الرافضة عداوة الصحابة؛ ردوا كل ما جاء في فضائلهم والثناء عليهم أو تأولوه.

---

(١) رد الدارمي ٢٠٠، ٢٠١ .

ولما أصلت الجهمية أن الله لا يتكلّم ولا يكلِّم أحداً ولا يرى بالأبصار ولا هو فوق عرشه مبائن لخلقه ولا له صفة تقوم به؛ أولوا كل ما خالف ما أصلوه.

ولما أصلت القدرية أن الله -سبحانه- لم يخلق أفعال عباده ولم يقدرها عليهم أولوا كل ما خالف أصولهم (ولما أصلت المعتزلة القول بنفوذ الوعيد وأن من دخل النار لم يخرج منها أبداً أولوا كل ما خالف أصولهم).

ولما أصلت المرجئة أن الإيمان هو المعرفة وأنها لا تزيد ولا تنقص أولوا ما خالف أصولهم.

ولما أصلت الكلابية أن الله سبحانه لا يقوم به ما يتعلق بقدرته ومشيئته، وسموا ذلك حلول الحوادث؛ أولوا كل ما خالف هذا الأصل»[1].

وقال ابن رشد: «وبالجملة فأكثر التأويلات التي زعم القائلون بها أنها المقصود من الشرع إذ تؤولت وجدت ليس يقوم عليها برهان، ولا تفعل فعل الظاهر في قبول الجمهور لها وعملهم بها، فإن المقصود الأول بالعلم في حق الجمهور ما هو العمل، فما كان أنفع في العمل فهو أجدر، وأما المقصود بالعلم في حق العلماء فهو الأمران جميعاً، أعني العلم والعمل.

ومثال من أول شيئاً من الشرع وزعم أن ما أوله هو الذي قصده الشرع وصرح بذلك التأويل للجمهور مثال مَنْ أتى إلى دواء قد ركبه طبيب ماهر، ليحفظ صحة جميع الناس أو الأكثر، فجاء رجل فلم يلائمه ذلك الدواء المركب الأعظم لرداءة مزاج كان به ليس يعرض إلا للأقل من الناس فزعم أن بعض الأدوية التي صرح باسمه الطبيب الأول في ذلك الدواء العام المنفعة المركب لم يرد به ذلك الدواء التي جرت العادة في اللسان أن يدل بذلك الاسم

---

(١) الصواعق المرسلة ١ / ٢٣٠، ٢٣١ .

عليه..»[1].

وقال: «وأنت إذا تأملت ما عرض في هذه الشريعة في هذا الوقت من الفساد العارض فيها من قبل التأويل تبينت أن هذا المثال صحيح، وأول من غير هذا الدواء الأعظم هم الخوارج، ثم المعتزلة بعدهم، ثم الأشعرية، ثم الصوفية، ثم جاء أبو حامد فطم الوادي على القرى»[2]. وهكذا مر التأويل الباطل بمراحل على النحو التالي:

المراحل التي سلكها أهل الأهواء في رد النصوص:

هذا وقد كان منهج أهل الأهواء والكلام في رد النصوص على مراحل:

المرحلة الأولى: رد بعض السنة وتكذيبها والطعن في الرواة - بما فيهم الصحابة - وهذا منهج الجهمية والمعتزلة الأوائل، كعمرو بن عبيد، وثمامة بن أشرس، والنظام والجاحظ. ثم عملت به الرافضة تجاه سائر الصحابة والسلف.

والمرحلة الثانية : التأويل، وذلك حينما وجدوا قوة تصدي السلف وتشنيع العامة وتهديد الولاة، حيث عرضوهم على السيف، فلجؤوا إلى تأويل نصوص الصفات كما فعل بشر المريسي، ثم تأثر بمنهجه بعض المنتسبين للحديث كابن الثلجي (محمد بن شجاع الحنفي) وقد ألف كتاباً في تأويل أحاديث الصفات على نحو ما فعل بشر المريسي، وكطعنه في حماد بن سلمة لموقفه من أبي حنيفة، ثم صار التأويل منهجاً يعتمد عليه أهل الكلام وتقوم عليه عقائدهم في الصفات وبعض السمعيات.

فقد أخذ ابن فورك منهج التأويل (فيما يوافق أصول الكلابية ثم

---

(١) مناهج الأدلة ١٨١، ١٨٢ ، وانظر الصواعق المرسلة ٢ / ٤١٤ .

(٢) مناهج الأدلة ١٨٢، وانظر الصواعق المرسلة ٢ / ٤١٧ .

الأشاعرة) عن ابن الثلجي والمريسي، وتأثرت به الطبقة الوسطى من أوائل الأشاعرة كالخطابي والبيهقي.

المرحلة الثالثة: مرحلة الجمع بين الرد لـ(خبر الآحاد) والتأويل عند متأخري الأشاعرة، كالجويني والغزالي والرازي والأيجي.

المرحلة الرابعة: الجمع بين الرد والتأويل والطعن في الرواة الأئمة العدول ليبقى منهج أهل الكلام سالماً ولو على حساب السنة[1] كما فعل الكوثري ومدرسته. وهو أشبه بمنهج المريسي.

المرحلة الخامسة: مرحلة الرد والإعراض الكامل والرفض المعلن لمناهج السلف، وهي مذهب أخلاف المتكلمين من العصرانيين الذين يزعمون الحاجة إلى وضع مناهج جديدة لتلقي الدين، وتقريره وتجديده.

١١ - الاعتماد على الكـــذب والوضـــع وما لا أصل له في الدين (منهج وسمة):

من أبرز سمات أهل الأهواء ومناهجهم في التلقي والاستدلال اعتمادهم على الكذب والوضع، وقلة التعويل على الإسناد، ولذلك يكثر استدلالهم بالموضوعات والمكذوبات والآثار الضعيفة، وما لا أصل له، وهم في الوقت نفسه يردون ما يخالف أهواءهم من النصوص الصحيحة يقول شيخ الإسلام: «وهذا في البدع الكبار مثل الرافضة والجهمية فإن الذي وضع الرفض كان زنديقاً ابتدأ تعمد الكذب الصريح الذي يعلم أنه كذب، كالذين ذكرهم الله من اليهود الذين يفترون على الله الكذب وهم يعلمون، ثم جاء من بعدهم من ظن صدق ما افتراه أولئك، وهم في شك منه كما قال تعالى: ﴿**وإن الذين أوتوا العلم من بعدهم لفي شكٍ منه مريب**﴾.

---

(١) راجع التنكيل للمعلمي اليماني.

وكذلك الجهمية ليس معهم على نفي الصفات وعلو الله على العرش ونحو ذلك نص أصلاً ولا آية ولا حديث ولا أثر عن الصحابة، بل الذي ابتدأ ذلك لم يكن قصده اتباع الأنبياء. بل وضع ذلك كما وضعت عبادة الأوثان وغير ذلك من أديان الكفار مع علمهم بأن ذلك مخالف للرسل كما ذكر عن مبدلة اليهود ثم فشا فيمن لم يعرفوا أصل ذلك»[1].

١٢ - التمسك بظواهر من النصوص دون مراعاة قواعد الاستدلال (منهج):

ومنه قوله: «فكانوا متمسكين بظاهر من القول لا بظاهر القول، وعمدتهم عدم العلم بالنصوص التي فيها علم بما قيد، وإلا فكل ما بينه القرآن وأظهره فهو حق، بخلاف ما يظهر للإنسان لمعنى آخر غير نفس القرآن، يسمى ظاهر القرآن، كاستدلالات أهل البدع من المرجئة والجهمية والخوارج والشيعة»[2].

١٣ - قولهم بالمجاز في العقائد(منهج):

القول بالمجاز حادث بعد القرون الثلاثة وأئمة السلف المعتبرون كرهوه في العقائد؛ لأنها غيبية توقيفية، ولما يؤدي إليه القول بالمجاز في العقائد من هدم نصوص الشرع وتحريف كلام الله، والقول على الله بغير علم، وهذا ما يذهب إليه ابن عبد البر وأنه «أولى بالصواب»[3]، ويقول: «وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق؛ لأنه يقص الحق، وهو قول الحق تبارك وتعالى علواً كبيراً»[4].

---

(١) الفتاوى ١٧ / ٤٤٥، ٤٤٦ . (٢) الفتاوى ٧/ ٣٩٢، ٣٩٣ .

(٣) الاستذكار ١/ ١٣٣، وانظر ابن عبد البر ومنهجه في تقرير العقيدة للدكتور سليمان الغصن ٨٠ .

(٤) التمهيد ١٦/ ١٥٢ .

قال شيخ الإسلام: «ومن ظن أن العرب قسمت هذا التقسيم -يعني الحقيقة والمجاز- أو أن هذا أخذ عنها، وكما يوجد كلام طائفة من المصنفين في أصول الفقه، فغلطه أظهر، وقد وجد في كلام طائفة كأبي الحسين البصري والقاضي أبي الطيب والقاضي أبي يعلى وغيرهم»[1].

وقال: «فمن الناس من قال: إن كل اسم تسمى به المخلوق لا يسمى به الخالق إلا مجازاً، حتى نقص الشيء، وهو قول جهم ومن وافقه من الباطنية، وهؤلاء لا يسمونه موجوداً، ولا شيئاً، ولا غير ذلك من الأسماء، ومن عكس، وقال: بل كل ما يسمى به الرب فهو حقيقة، ومجاز في غيره. وهو قول أبي عباس الناشي من المعتزلة. والجمهور قالوا: إنه حقيقة فيهما، لكن أكثرهم قالوا: إنه متواطىء التواطىء العام، أو مشككاً إن جعل المشكك نوعاً آخر، وهو غير التواطىء الخاص الذي تتماثل معانيه في موارد ألفاظه، وإنما جعله مشتركاً شرذمة من المتأخرين لا يعرف هذا القول عن طائفة كبيرة ولا نظار مشهورين»[2].

١٤ - تعظيمهم طريق الفلاسفة في تقرير الدين (منهج وسمة):

أهل الكلام تقوم أصولهم ومناهجهم في التلقي والاستدلال وتقرير عقائدهم على مناهج الفلاسفة وقواعدهم .

قال شيخ الإسلام: «لأن مثل هذا الآمدي وأمثاله الذين عظموا طريقهم (يعني الفلاسفة) وصدروا كتبهم التي صنفوها في أصول دين الإسلام بزعمهم بما هو أصل هؤلاء الجهال من أن كمال النفس الإنسانية بحصول ما لها من الكمالات وهي الإحاطة بالمعقولات والعلم بالمجهولات وسلكوا

---

(١) انظر الفتاوى ٢٠ / ٤٥٣ .

(٢) الفتاوى ٢٠ / ٤٠٤١، ٤٤٢ .

طريقهم ووقعوا في الجهل والحيرة والشك بما لا تحصل النجاة إلا به ولا تنال السعادة إلا بمعرفته فضلاً عن نيل الكمال الذي هو فوق ذلك»[1].

ومن تعظيمهم للفلاسفة ومنهجهم وطريقتهم استمدوا منهم عقائدهم ومصطلحاتهم، فأصول المتكلمين تقوم على الخوض في مصطلحات فلسفية ما أنزل الله بها من سلطان (كالجسم) و(العرض) و(الجوهر) و(المتحيز) و(المركب) والاستدلال بمعانيها على حدوث العلم، والكلام بها في صفات الله نفياً أو إثباتاً. وهذا لا يعرف عن سلف الأمة وأئمتها، بل المحفوظ عنهم المتواتر إنكار ذلك وذم أهله[2].

١٥ - زعمهم أن قواعدهم هي المحكم وألفاظ الشرع هي المتشابه (منهج):

لما وضع أهل الكلام لأنفسهم أصولاً عقلانية وفلسفية ابتدعوها، تعارضت مع بعض النصوص فلم يهتدوا إلى اتهام عقولهم القاصرة، بل اتهموا نصوص الشرع، فزعموا أن قواعدهم الفاسدة هي المحكمة، واتهموا النصوص بأنها متشابهة، وقالوا: عند التعارض نرد المتشابه، وهو كلام الله ورسوله -بزعمهم- إلى المحكم، وهو كلامهم.

قال ابن القيم: «إن هؤلاء المعارضين للوحي بالعقل، بنوا أمرهم على أصل فاسد، وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها، وجعلوها أصول دينهم، ومعتقدهم في رب العالمين هي المحكمة، وجعلوا قول الله ورسوله هو المتشابه الذي لا يستفاد منه علم ولا يقين، فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم، والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه، ثم ردوا تشابه الوحي إلى محكم

---

(١) درء التعارض ٣/ ٢٧٦ .

(٢) انظر بيان تلبيس الجهمية ١/ ٢٢٠ (الهنيدي).

كلامهم وقواعدهم، وهذا كما جعلوا ما أحدثوه من الأصول التي نفوا بها صفات الرب جل جلاله، ونعوت كماله، ونفوا بها كلامه، وتكليمه، وعلوه على عرشه، ورؤيته في الدار الآخرة، محكماً، وجعلوا النصوص الدالة على خلاف تلك القواعد والأصول متشابهة يقضي بتلك القواعد عليها وترد النصوص إليها، فتارة يحرفون النصوص عن مواضعها»[1].

١٦ - اعتمادهم في تقرير العقيدة على أصولهم الفاسدة وقد يذكرون الدليل الشرعي للاعتضاد (منهج وسمة):

من مناهج أهل الأهواء وسماتهم العامة، أنهم يعتمدون على أصولهم الفاسدة في تقرير الدين أولاً، ثم يلتمسون من الأدلة الشرعية ما يوافق هواهم على غير نهج سليم.

قال شيخ الإسلام مبيناً الفرق بين منهج أهل السنة ومنهج أهل الأهواء:

«والألفاظ نوعان، نوع يوجد في كلام الله ورسوله، ونوع لا يوجد في كلام الله ورسوله فيعرف معنى الأول ويجعل ذلك المعنى هو الأصل ويعرف ما يعنيه الناس بالثاني، ويرد إلى الأول هذا طريق أهل الهدى والسنة، وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعاً لهم فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم ويقولون نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة يعنون أنهم يعتقدون معنى بلغتهم ورأيهم ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه»[2].

وقال: «وأهل البدع سلكوا طريقاً آخر ابتدعوها اعتمدوا عليها، ولا

---

(١) الصواعق ٣/ ٩٩٠، ٩٩١ .

(٢) الفتاوى ١٧ / ٣٥٥ .

يذكرون الحديث، بل ولا القرآن في أصولهم إلا للاعتضاد لا للاعتماد»[1].

وقال: «والمقصود هنا أن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان، فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق شيعاً، صار عمدتهم في الباطن ليس على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم، عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه؟ فلهذا تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى؛ إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن، ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول؛ بل أن يدفع منازعه عن الاحتجاج بها»[2].

وقال: «وأهل البدع والضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم كما قال مجاهد: أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل كما قال فيهم الإمام أحمد قال: هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يحتجون بالمتشابه من الكلام ويضلون الناس بما يشبهون عليهم. والمفترقة من أهل الضلال تجعل لها ديناً وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم، ثم يعرضون ذلك على القرآن والحديث، فإن وافقه احتجوا به اعتضاداً لا اعتماداً، وإن خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله، وهذا فعل أئمتهم، وتارة يعرضون عنه ويقولون: نفوض معناه إلى الله، وهذا فعل عامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ما

---

(١) منهاج السنة ٧/ ٣٧.

(٢) الفتاوى ١٣/ ٥٨، ٥٩.

جاء به الرسول، يجعلون أقوالهم البدعية محكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها، والمخالف إما كافر وإما جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له علم بالمعقول ولا بالأصول، ويجعلون كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه إلا الله، أو لا يعرف معناه إلا الراسخون في العلم، والراسخون عندهم من كان موافقاً لهم على ذلك القول»[1].

١٧ - دعواهم أن الرسول ﷺ عدل عن بيان الحق للناس ليجتهدوا في التأويل (منهج):

من الشبهات التي روجها كثير من أهل الكلام -تبعاً للفلاسفة- زعمهم أن الرسول ﷺ تعمد ترك بيان التفصيلات في العقائد، ليجتهد الناس في ذلك . وبعضهم يعد ذلك من لوازم قوله وإن لم يصرح به، وبذلك أبطلوا دلالة الوحي، ثم تخبطوا في البحث عن الحق ولم يصلوا إليه بل تفرقت بهم السبل في محارات المسائل، ومعضلات الأقوال، يقول شيخ الإسلام:

«وتارة يقولون إنما عدل الرسول ﷺ عن بيان الحق ليجتهدوا في معرفة الحق من غير تعريفه ويجتهدوا في تأويل ألفاظه فتعظم أجورهم على ذلك وهو اجتهادهم في عقلياتهم وتأويلاتهم ولا يقولون إنه قصد به إفهام العامة الباطل كما يقول أولئك المتفلسفة وهذا قول أكثر المتكلمين النفاة من الجهمية والمعتزلة ومن سلك مسلكهم حتى ابن عقيل وأمثاله وأبو حامد وابن رشد الحفيد وأمثالهم يوجد في كلامهم المعنى الأولى وأبو حامد إنما ذم التأويل في آخر عمره وصنف «إلجام العوام عن علم الكلام» محافظة على هذا الأصل؛ لأنه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم إلا بإبقاء الظواهر على ما هي عليه وإن كان هو يرى ما ذكره في كتبه «المضنون بها» أن النفي هو الاثبات في

---

(١) الفتاوى ١٣/ ١٤٢، ١٤٣ .

نفس الأمر»[1].

وقال: «لكـن يوجـد في أهل الحديث مطلقاً من الحنبلية وغيرهم من الغلط في الإثبات مما يوجد في أهل الكـلام، ويوجـد في أهل الكلام من الغلط في النفي أكثر مما يوجد في أهل الحديث؛ لأن الحديث إنما جاء في إثبات الصفات ليس فيه شيء من النفي الذي انفرد به أهل الكلام والكلام مأخوذ من الجهمية والمعتزلة مبني على النفي المناقض لصرائح القرآن والحديث، بل والعقل الصريح أيضاً، لكنهم يدعون أن العقل دل على النفي وقد ناقضهم طوائف من أهل الكلام وزادوا في الإثبات كالهشامية والكرامية وغيرهم لكن النفي في جنس الكـلام المبتدع الذي ذمه السلف أكثر»[2].

ويتبع ذلك:

١٨ - دعواهم أن الرسول ﷺ لم يتكلم بالحقيقة في صفات الله (منهج):

ومن لوازم قول أهل الكلام الذين عطلوا وأولوا الصفات، اتهام الرسول ﷺ بأنه لم يتكلم بالحقيقة في صفات الله تعالى حين لم يوافق قولهم.

قال شيخ الإسلام: «وكثير من أهل الكلام الجهمية يوافق أولئك على أنه ما كان يمكنه أن يبوح بالحق في باب التوحيد فخاطب الجمهور بما تخيل لهم كما يقولون إنه لو قال: إن ربكم ليس بداخل العالم ولا بخارجه ولا يشار إليه، لا هو فوق العالم ولا كذا ولا كذا لنفرت قلوبهم عنه وقالوا هذا لا يعرف، قالوا: فخاطبهم بالتجسيم حتى يثبت لهم رباً يعبدون وإن كان يعرف أن التجسيم باطل، وهذا يقوله طوائف من أعيان الفقهاء المتأخرين المشهورين الذين ظنوا أن مذهب النفاة هو الصحيح واحتاجوا أن يعتذروا عما جاء به الرسول ﷺ

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٣٥٧.

(٢) الفتاوى ١٧/ ٣٦٣.

من الإثبات كما يوجد في كلام غير واحد»[1].

١٩ - وضع الدليل في غير ما يدل عليه (منهج):

قال ابن عمر -رضي الله عنه- في الخوارج: «انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين»[2]. وهذا منهج كثير من أهل الأهواء والبدع.

٢٠ - كراهيتهم لنصوص الصفات والتوحيد وطعنهم في رواتها من الأئمة (سمة):

لمَّا خالف أهل الكلام السلف في الصفات، وسلكوا مسلك التأويل والتعطيل، تعارضت شبهاتهم مع دلالة النصوص المثبتة للصفات، صاروا ينفرون منها، وتطاولوا على رواتها من الصحابة ومن بعدهم، زعماً منهم أنهم رووا ما لا يوافق المعقول.

يقول ابن القيم: «ولهذا تجد كثيراً لا يحب تبليغ النصوص النبوية أو إظهارها وإشاعتها، وقد يشترطون في أماكن يقفونها أن لا يقرأ فيها أحاديث الصفات وكان بعض متأخريهم وهو أفضلهم عندهم كَلِفٌ بإعدام كتب السنّة المصنفة في الصفات وكتمانها وإخفائها، وبلغني عن كثير منهم أنه كان يهم بالقيام والانصراف عند ختم صحيح البخاري وما فيه من التوحيد، والرد على الجهمية، وسُمِعَ منه الطعن في محمد بن إسماعيل، وما ذنب البخاري، وقد بلغ ما قاله رسول الله ﷺ، وقال آخر من هؤلاء: «لقد شان البخاري صحيحه بهذا الذي أتى به في آخره»، ومعلوم أن هذه مضادة صريحة لما يحبه الله ورسوله من التبليغ عنه، حيث يقول: **(ليبلغ الشاهد الغائب)**»[3].

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٣٥٦، ٣٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح - استتابة المرتدين - باب (٦) الفتح ١٢/ ٢٨٢.

(٣) الصواعق ٣/ ١٠٩٣، ١٠٤٠.

قلت: وهذا ما سلكه بعض المتعصبة المتكلمين المتأخرين كالكوثري[1].

٢١ - تسميتهم أصولهم الباطلة أصول الدين والتوحيد (منهج):

من أصولهم الباطلة تسميتهم مقولاتهم وتعطيلاتهم وتأويلاتهم: أصول الدين والتوحيد. مع أن أصول الدين حقاً ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ؛ أما أصول أهل الكلام فما هي إلا تخرصات وأوهام وخيالات ليست من الدين في شيء، لأن ما يقصدونه هم فيه مختلفون مضطربون متناقضون حائرون، فكيف يكون كلامهم وعقلياتهم أصول الدين؟! إنما أصول الدين والتوحيد ما عليه سلف الأمة الأئمة المهتدون وهو ما ثبت في الكتاب والسنة[2]، فلو تأملت مثل كتاب : أصول الدين للبغدادي، والأربعين في أصول الدين للغزالي، والغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي، والتوحيد للماتريدي ونحوها. لوجدتها مليئة بالكلاميات والفلسفيات والتخرصات، والتأويلات المخالفة لما جاء في الكتاب والسنة وما عليه السلف.

٢٢ - ومن أصولهم في الاستدلال قياس الغائب على الشاهد (منهج):

من مناهج المتكلمين قياس الغائب على الشاهد[3] تبعاً للفلاسفة وهو ما سمي بالقياس التمثيلي (أو الشمولي عند بعضهم).

وهذا منهج منحرف ومعارض لمنهج أهل السنة تماماً، بل معارض لمنهج القرآن والسنة خاصة حين استعملوه في الإلهيات والسمعيات، فالصفات

---

(١) راجع التنكيل للمعلمي وتعليق العلامة الألباني عليه.

(٢) انظر درء التعارض ١/ ٤١، ٤٢ .

(٣) انظر التمهيد للباقلاني ٣٢، وانظر الفرق الكلامية مدخل ودراسة ص٢١، ونهاية الإقدام للشهرستاني ص ١٨٢ وما بعدها.

وأفعال الله تعالى لا يقاس في حقها الغائب على الشاهد؛ لأن الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولأن الله تعالى له في ذاته وصفاته وأفعاله الكمال المطلق الذي لا تحيط به العقول والأوهام، وكذلك السمعيات الأخرى فهي غيب وما يعلم الغيب إلا الله سبحانه، وأي كلام فيها أكثر مما ورد في النص إنما هو رجم بالغيب، فإن من أسباب تعطيلهم وتأويلهم للصفات (قياس الغائب على الشاهد) وهذا هو التمثيل والتشبيه الذي نفاه الله تعالى عن نفسه. وسائر أصولهم التي خالفوا فيها السلف في الصفات والسمعيات تقوم على هذه القاعدة والقياس الفاسد.

وسائر مصنفاتهم وكلامهم الذي ملأ الآفاق وصم الآذان وحشى الدفاتر والأوراق إنما يستند على هذه القاعدة.

٢٣ - عدم عنايتهم بالرواية والأسانيد (منهج وسمة):

أهل الأهواء والافتراق تقوم أصولهم على الأهواء والوضع، لذلك ليس لهم كبير عناية بالأسانيد وعدالة الرجال، وإن وجد شيء من الاهتمام بالأسانيد كما تفعل بعض فرق الرافضة فعلى موازينها المبنية على أهوائها وأصولها الفاسدة، فالصحابة عندهم مرتدون غير عدول، فضلاً عن بقية السلف، لذلك نجد أن الضعفاء مثل جابر الجعفي[1] والمتروكين والوضاع وبعض الزنادقة عند أهل الحديث هم الثقات العدول عند الرافضة، ومع ذلك فعنايتهم بالأسانيد في تلقي الدين والاستدلال قليلة جداً، فأغلب أدلتهم ورواياتهم بلا أسانيد، فهم يعتقدون عصمة أئمتهم ويكذبون عليهم ويروون عنهم بلا أسانيد.

---

(١) انظر الضعفاء والمتروكين للدارقطني (١٦٨) ت (١٤٢) تحقيق موفق بن عبدالله.

وذكر أهل العلم أن أهل الأهواء يكرهون الحديث والإسناد وأهله، فقد أخرج ابن الجوزي عن أبي نصر بن سلام البخاري الفقيه قال: «ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناد»[1]؛ لذلك يبغضون أهل الحديث، فقد أخرج ابن الجوزي أيضاً عن أحمد بن سنان قال: «ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث»[2]. قلت ولذا كان من سمات أهل الأهواء لمز السلف وسبهم والنيل منهم.

٢٤ - جهلهم باللغة أو تجاهلها وعدم اعتبارها (منهج وسمة):

من مناهج أهل الأهواء في الاستدلال عدم اعتبار اللغة ومعانيها، إما جهلاً بعد شيوع العجمة وإهمال علم النحو، وإما لعدم اعتبارها قصداً.

فالقرآن والسنة بلسان عربي مبين، وفهم العرب الصحابة الذي تنزل القرآن في عهدهم هو الحجة، لكن أهل الأهواء يعدلون عن هذا الأصل، إلا إذا كان الدليل لهم يلبسون به على الناس، أما إذا كانت اللغة على غير هواهم تركوا الاحتجاج بها والاستدلال، بل يصادمون دلالات اللغة وتفسيرات أهلها.

(٢) انحرافهم في مفهوم التوحيد وتقريره (منهج وسمة):

التوحيد عند السلف هو: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإثبات أسماء الله وصفاته وأفعاله كما جاء في القرآن والسنة، أما أهل الأهواء والافتراق فإنهم في مفهوم التوحيد وتقريره على مناهج وطرائق قدداً تتلخص فيما يلي:

---

(١) صون المنطق ٤١ .

(٢) صون المنطق ٤١ .

١ - التوحيد عند الجهمية نفي أسماء الله وصفاته وأفعاله (التعطيل).
٢ - التوحيد عند المعتزلة نفي الصفات والأفعال.
٣ - التوحيد عند أهل الكلام تأويل صفات الله تعالى، ونفي أفعاله والكلام في ذلك بالفلسفات والعقليات والظنيات والأوهام.
٤ - التوحيد عند الرافضة هو الشرك بدعاء الأموات والأحياء، والتعبد بزيارة المشاهد والقبور والآثار وصرف أنواع العبادة عندها لغير الله.
٥ -والتوحيد عند الصوفية الأوراد البدعية، والغناء، والاتحاد، والحلول، ووحدة الوجود، وكذلك البدع والقبوريات كالرافضة.
٦ - والتوحيد عند الباطنية الإلحاد والتعطيل والنفاق.

قال شيخ الإسلام: «و(اسم التوحيد) اسم مُعَظَّم جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، فإذا جعل تلك المعاني التي نفاها من التوحيد، ظن من لم يعرف مخالفة مراده لمراد الرسول ﷺ أنه يقول بالتوحيد الذي جاءت به الرسل، ويسمي طائفته الموحدين، كما يفعل ذلك الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم على نفي شيء من الصفات، ويسمون ذلك توحيداً وطائفتَهم الموحدين ويسمون علمهم علم التوحيد، كما تسمي المعتزلة ومن وافقهم نفي القدر عدلاً، ويسمون أنفسهم العدلية، وأهل العدل ومثل هذه البدع كثير جداً يعبر بألفاظ الكتاب والسنة عن معان مخالفة لما أراده الله ورسوله بتلك الألفاظ، ولا يكون أصحاب تلك الأقوال تلقوها ابتداء عن الله عز وجل، ورسوله ﷺ، بل عن شُبه حصلت لهم، وأئمة لهم»[1].

فمفهوم التوحيد عند المتكلمين يعني إثبات (الخالق) الصانع، وتوحيد

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٣٥٢.

الربوبية، وأن الله ليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز ولا داخل العالم ولا خارجه. فهم كالفلاسفة يقفون عند توحيد الربوبية مع سوء فهمهم له، ولا يصلون إلى التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب وهو توحيد الإلهية والعبادة، وتوحيد الإثبات، وهذا بخلاف ما عليه السلف تماماً، إذ يبدعون هذه الطريقة كما قال أبو العباس بن سريج (ت ٣٠٦) «توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك»[1].

فالجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم من متأخري الرافضة والخوارج وأهل الكلام حقيقة التوحيد عندهم تنتهي بالتعطيل:

قال الذهبي لما ذكر كلام ابن عبد البر: أن الجهمية والمعتزلة والخوارج ينكرون الصفات ولا يحملون منها شيئاً على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود. قال الذهبي: «صدق والله إن من تأول سائر الصفات وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام، أداه ذلك السلب إلى تعطيل الرب، وأن يشابه المعدوم كما نقل عن حماد بن زيد أنه قال. مثل الجهمية كقوم قالوا في دارنا نخلة قيل: لها سعف؟ قالوا: لا، قيل: فلها كرب؟ قالوا: لا، لها رطب وقنع؟ قالوا: لا قيل: فلها ساق؟ قالوا: لا، قيل: فما في داركم نخلة»[2].

قال شيخ الإسلام:

«والتوحيد عندهم نفي التشبيه والتجسيم ويقولون: إن الأول يعنون به

---

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٥٩ (اللاحم)، ويراجع ذم الكلام (٣٨٧) مخطوط.
(٢) العلو للعلي الغفار للذهبي ١٨٢ .

عدم النظير، والثاني يعنون به أنه لا ينقسم، وهم يفسرون الواحد والتوحيد بما ليس هو معنى الواحد والتوحيد في كتاب الله وسنة رسوله، وليس هو التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، وهذا أصل عظيم تجب معرفته، فقال نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة ونحوهم: الواحد هو الذي لا صفة له ولا قدر. إلخ وذكر أمثلة أقوال ابن سينا والجهمية والمعتزلة»[1].

وهاك أنموذجاً من تعريف التوحيد عند أهل الأهواء:

يقول النشار: «علم التوحيد، أو علم الكلام، أو علم أصول الدين، وهو علم الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ويسمى أصحابه بالمتكلمين، أو متكلمي الإسلام»[2].

فقد جعل علم التوحيد مرادفاً لعلم الكلام مع العلم أن الكلام مناقض للتوحيد ثم سماه بعلم الحِجَاج، والحجاج هو الجدال، وزعم أن أصحاب التوحيد هم علماء الكلام. وللنشار موقف من السلف لا يحمد سأذكره فيما بعد. وعلى أية حال فالنشار ما هو إلا واحد من الأشاعرة لم يخرج عن قولهم، بل نقله عمن سبقوه.

وقوعهم في تقرير التوحيد فيما نهى الله عنه:

فأهل الأهواء والكلام في مسلكهم في تقرير التوحيد وقعوا في نوع ما نهى الله عنه، حيث أنشؤوا الإشكالات والتساؤلات حول التوحيد، ثم أجابوا عليها بغير علم وافترضوا الاعتراضات على نصوص الصفات والسمعيات، فخرجوا عن اليقين والتسليم الشرعي إلى الشك والحيرة والاضطراب. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولون: هذا**

---

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية ١/ ٢٣٧ (حقي).

(٢) نشأة الفكر الفلسفي ١/ ٤٨ .

الله خالق كل شيء، فمن خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله» أخرجه البخاري ومسلم[1]. وقد وقع من أهل الكلام في أسماء الله وصفاته وأفعاله ما حذر منه النبي ﷺ.

ومن ذلك مخالفتهم لقول الرسول ﷺ: **«ذروني ما تركْتكم...»** الحديث[2].

وكذلك تباينت مفاهيمهم وتعددت مناهجهم في تقرير التوحيد وإثباته:

أما منهج السلف في تقرير التوحيد وإثباته فإنه مبني على منهج القرآن والسنة في تقرير التوحيد بالفطرة والشهادتين والدلائل والبراهين التي تباشر الفطرة والعقل السليم من غير تكلف ولا فلسفة، كما قال تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أن لا إله إلا أنا فاعبدون﴾** [سورة: الأنبياء، الآية: ٢٥]، وقال: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنسَ إلا لِيَعْبُدُون﴾** [سورة: الذاريات، الآية: ٥٦]، وقال: **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾** [سورة: الأنبياء، الآية: ٢٢].

وقال تعالى: **﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾** [سورة: إبراهيم، الآية: ١٠].

وقال ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»**[3]، وقال: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة»** [4] الحديث.

أما أهل الأهواء فمنهم من يسلك طريقة الفلاسفة الذين خالفوا منهج الأنبياء، ذلك أنهم يبدؤون في تقرير التوحيد بإثبات الصانع وتوحيد الربوبية،

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (٢١٢).

(٢) البخاري حديث (٧٢٨٨)، ومسلم حديث (٣١، ٣٢) فضائل.

(٣) أخرجاه في الصحيحين.

(٤) البخاري حديث (١٣٥٨) كتاب الجنائز - فتح الباري (٣/ ٢١٩).

أما منهج القرآن والسنة ومنهج السلف في ذلك البدء بالشهادتين وتوحيد الإلهية ثم أركان الإسلام والإيمان كما هو مقرر عندهم، وقد بوب البخاري في صحيحه كتاب التوحيد وبدأه بحديث بعث معاذ إلى اليمن تحت باب (ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى)، حيث يذكر البدء بالشهادتين، وهذا هو المنهج الحق الذي يناسب الفطرة والعقل السليم[1]. وهو منهج السلف في تقرير التوحيد.

قال شيخ الإسلام في وصف منهج أهل الكلام في إثبات التوحيد:

«كما هي الطريقة المشهورة الكلامية للمعتزلة، والكرامية، والكلابية والأشعرية، ومن سلك هذه الطريق في إثبات الصانع أولاً، بناء على حدوث العالم، ثم إثبات صفاته نفياً وإثباتاً بالقياس العقلي- على ما بينهم فيه من اتفاق واختلاف، إما في المسائل وإما في الدلائل- ثم بعد ذلك يتكلمون في السمعيات، من المعاد والثواب والعقاب والخلافة والإيمان بطريق مجمل. وإنما عمدة الكلام ومعظمه هو تلك القضايا التي يسمونها العقليات وهي أصول دينهم[2]...»[3].

---

(١) انظر فتح الباري ١٣/ ٣٤٤ وما بعدها.

(٢) انظر على سبيل المثال الكتب التالية:
(التوحيد) للماتريدي و(الإنصاف) للباقلاني و(تمهيد الأوائل) للباقلاني و(الإرشاد) للجويني و(أصول الدين) للبغدادي و(الأربعين) للغزالي و(المواقف) للأيجي و(شرح المقاصد) للتفتازاني ونحوها. تجدها -رغم أنها من كتب أجلة المتكلمين- تقرر التوحيد على منهج الفلاسفة من حيث المقدمات العقلية والمصطلحات الفلسفية، والمحارات العقلية بعيداً عن منهج القرآن والسنة ودلالة الفطرة، وغاية ما يرومونه (توحيد الربوبية) وإثبات الخالق، وهو أمرٌ بدهي لا ينكره الكفار ولا المشركون، لكن توحيد الإلهية والعبادة والقصد والطلب والإثبات لا يعرجون عليه.

(٣) الفتاوى ٢/ ٧ .

ومن أهل الأهواء من يسلك في تقرير التوحيد طريقة البرهان وهم غلاة الصوفية، حيث يزعمون أن التوحيد يحقق بالأحوال، والخروج عن مقام العبودية؛ فيزعمون أن غاية التوحيد الاستغناء عن شرائع الأنبياء ، والفناء في الله. وعن هذا المسلك الباطل نتجت المذاهب الإلحادية: القول بالحلول، والاتحاد، ووحدة الوجود. ونحوها.

(٣) من أعظم سمات أهل الأهواء عموماً الجهل (سمة):

ويشتمل ذلك الجهل بالله تعالى وتوحيده وحقوقه.

والجهل بمنهج الأنبياء وما أنزل الله إليهم من الهدى والنور.

والجهل بنصوص الشرع.

والجهل بآثار السلف وعقيدتهم ومناهجهم ومنزلتهم.

والجهل بقواعد الشرع ومقاصده.

والجهل بمنهج التلقي والاستدلال.

والجهل سمة عامة لأهل الأهواء، وإن كانوا يتفاوتون في ذلك تفاوتاً عظيماً، كما أنه قد يوجد من أتباع الأهواء أو رؤوسها من هو عالم بشعبة أو أكثر من شعب العلم، كاللغة، أو الفقه، أو التفسير، أو الحديث، وهذا قليل؛ لأن كل أهل الحديث في القرون الثلاثة الفاضلة أهل سنة على مذهب السلف إلا النادر، وكذلك بعد القرون الثلاثة غالب أهل الحديث أهل سنة، إلا القليل ممن خالطتهم مذاهب المتكلمين، ووقعوا في شيء من التأويلات.

ومن مظاهر جهل أهل الأهواء ما يلي:

١ - جهلهم بما دل عليه الكتاب والسنة وآثار السلف (سمة):

قال شيخ الإسلام: «لكن كثير من المتكلمين أو أكثرهم لا خبرة لهم بما

دل عليه الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ بل ينصر مقالات يظنها دين المسلمين، بل إجماع المسلمين، ولا يكون قد قالها أحد من السلف، بل الثابت عن السلف مخالف لها، فلما وقع بين المتكلمين تقصير وجهل كثير بحقائق العلوم الشرعية، وهم في العقليات تارة يوافقون الفلاسفة على باطلهم، وتارة يخالفونهم في حقهم، صارت المناظرات بينهم دولاً. وإن كان المتكلمون أصح مطلقاً في العقليات الإلهية والكلية، كما أنهم أقرب إلى الشرعيات من الفلاسفة، فإن الفلاسفة كلامهم في الإلهيات والكليات قاصر جداً، وفيه تخليط كثير، وإنما يتكلمون جيداً في الأمور الحسية الطبيعية، وفي كلياتها، فكلامهم فيها- في الغالب- جيد.

وأما الغيب الذي تخبر به الأنبياء، والكليات العقلية التي تعم الموجودات كلها، وتقسيم الموجودات كلها قسمة صحيحة فلا يعرفونها ألبتة»[1].

وقال: «إذ المقصود هنا أن من أكابر الفضلاء من لا يعرف أقوال الأئمة في أكابر المسائل، لا أقول أهل الحق ولا أهل الباطل، بل لم يعرف إلا بعض الأقوال المبتدعة في الإسلام، ومن المعلوم أن السلف والأئمة كان لهم قول ليس هو قول المعتزلة ولا الكُلابية ولا الكرامية ولا هو قول المسمَّين بالحَشْوية فأين ذلك القول؟ أكان أفضل الأمة وأعلمها وخير قرونها لا يعلمون في هذا حقاً ولا باطلاً؟»[2].

وقال: «فتبيَّن أن قول الذين يعرضون عن طلب الهدى والعلم في كلام الله ورسوله، ويطلبونه في كلام غيره، من أصناف أهل الكلام والفلسفة والتصوف وغيرهم هم من أجهل الناس وأضلّهم بطريق العلم، فكيف بمن يعارض كلامه كلام هؤلاء الذين عارضوه وناقضوه، ويقول: إن الحق الصريح والعلم

---

(١) الفتاوى ١٧/ ٣٣٤، ٣٣٥.

(٢) درء التعارض ٢/ ٣١٣.

والهدى إنما هو في كلام هؤلاء المناقضين، المعارضين لكلام رسول رب العالمين»[1].

وقال: «وكان هذا من تلك البدع الكلامية، كبدع الذين جعلوا أصل الدين مبنياً على كلامهم في الأجسام والأعراض، ولهذا كثر ذم السلف والأئمة لهؤلاء، وإذا رأيت الرجل قد صنف كتاباً في أصول الدين ورد فيه من أقوال أهل الباطل ما شاء الله ونصر فيه من أقوال أهل الحق ما شاء الله، ومن عادته أنه يستوعب الأقوال في المسألة فيبطلها إلا واحداً، ورأيته في مسألة كلام الرب تعالى وأفعاله أو نحو ذلك ترك من الأقوال ما هو معروف عن السلف والأئمة تبين أن هذا القول لم يكن يعرفه ليقبله أو يردّه، إما لأنه لم يخطر بباله أو لم يعرف قائلاً به، أو لأنه خطر له فدفعه بشبهة من الشبهات. وكثيراً ما يكون الحق مقسوماً بين المتنازعين في هذا الباب»[2].

وقال: «ولكن دخلت الشبهة في ذلك بأن قوماً كان لهم ذكاء تميزوا به في أنواع من العلوم: إما طبيعية، كالحساب والطب، وإما شرعية، كالفقه مثلاً. وأما الأمور الإلهية فلم يكن لهم بها خبرة كخبرتهم بذلك، وهي أعظم المطالب وأجل المقاصد، فخاضوا فيها بحسب أحوالهم، وقالوا فيها مقالات بعبارات طويلة مشتبهة، لعل كثيراً من أئمة المتكلمين بها لا يحصلون حقائق تلك الكلمات، ولو طالبتهم بتحقيقها لم يكن عندهم إلا الرجوع إلى تقليد أسلافهم فيها.

وهذا موجود في منطق اليونان وإلهياتهم، وكلام أهل الكلام من هذه الأمة وغيرهم، يتكلم رأس الطائفة كأرسطو مثلاً بكلام، وأمثاله من اليونان بكلام، وأبي الهذيل والنظام وأمثالهما من متكلمة أهل الإسلام بكلام، ويبقى

---

(١) درء التعارض ٥/ ٣٧٤.

(٢) درء التعارض ٢/ ٣٠٩.

ذلك الكلام دائراً في الأتباع، يدرسونه كما يدرس المؤمنون كلام الله، وأكثر من يتكلم به لا يفهمه.

وكلما كانت العبارة أبعد عن الفهم كانوا لها أشد تعظيماً، وهذا حال الأمم الضالة، كلما كان الشيء مجهولاً كانوا أشد له تعظيماً، كما يعظِّم الرافضة المنتظر، الذي ليس لهم منه حسٌّ ولا خبر، ولا وقعوا له على عين ولا أثر.

وكذلك تعظيم الجهال من المتصوفة ونحوهم للغوث وخاتم الأولياء، ونحو ذلك مما لا يعرفون له حقيقة»[1].

قلت: ومن ذلك طريقة الحداثيين في التعبير عن أغراضهم الباطنية بعبارات ورموز وطلسمات ثم يشرحونها بما يزيدها غموضاً وتعقيداً ويجدون في ذلك غاية المتعة.

وغالب أهل الكلام والأهواء لا خبرة لهم بالحديث وآثار الصحابة والتابعين، ولذلك إذا نقلوا المقولات أو حكوها قليلاً ما يذكرون أقوال أئمة السنة مما يوهم القارىء أن أقوال المسلمين منحصرة فيما نقلوه أو حكوه، أو يتوهم أن السلف أهل السنة ليس لهم قول.

وإذا نقل بعضهم قول السلف نسبه إلى المشبهة والمجسمة. يقول شيخ الإسلام عن أحد كبار المتكلمين، وهو الشهرستاني:

«والشهرستاني لا خبرة له بالحديث وآثار الصحابة والتابعين. ولهذا نقل في كتابه هذا ما ينقله من اختلاف غير المسلمين واختلاف المسلمين، ولم ينقل مع هذا مذهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في الأصول الكبار؛ لأنه لم يكن يعرف هذا هو وأمثاله من أهل الكلام، وإنما ينقلون ما يحدثونه في كتب

---

(١) درء التعارض ٥/ ٣١٤، ٣١٥.

المقالات، وتلك فيها أكاذيب كثيرة من جنس ما في التواريخ»[1].

٢ - سوء الأدب مع الله تعالى والخوض في أسمائه وصفاته بغير علم (سمة):

من براهين جهل أهل الأهواء كلامهم في صفات الله تعالى بغير علم، بالتعطيل والتأويل والسلوب وقلة أدبهم في ذلك، وقد ذكر ابن القيم نموذجاً من توهماتهم في حق الله تعالى، قال:

«وقال الآخر: بل هو موصوف بالسلوب والإضافات، فلا سمع له ولا بصر، ولا حياة، ولا إرادة، ولا يتكلم، ولا يكلم أحداً من خلقه، ولا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق العرش ولا تحته، ولا يمينه ولا يساره، ولا خلفه ولا أمامه، ولا له وجه، ولا يرضى ولا يغضب، ولا يسخط ولا يضحك، ولا يفرح بتوبة تائب، ولا استوى على عرشه، ولا ينزل كل ليلة سماء الدنيا، ولا يأتي يوم القيامة، ولا يجيء لفصل القضاء، ولا يراه المؤمنون بأبصارهم، ولا يستمعون كلامه، ولا يقوم به فعل ألبتة، ولا وصف، ولا له حقيقة وماهية غير وجود مطلق، وهو وجه كله، وسمع كله، وبصر كله، ويد كله، علمه ذاته، وسمعه وبصره علمه، ليس له يد غير القدرة، خلق بها آدم، وكتب بها التوراة، وغرس بها جنة عدن يقبض بها السموات، وليس له وجه يراه المؤمنون بأبصارهم، ليس بجوهر، ولا جسم، ولا متحيز ولا متحرك ولا ساكن، ولا ينزل من عنده شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا يقرب منه شيء ولا يحبه أحد..»[2].

وهكذا ترى حشداً من الألفاظ والمصطلحات المبتدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان، وغالبها مبناه على التوهمات والظنون، والعجيب أن أهل

---

(١) منهاج السنة ٦/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٢) الصواعق ٣/ ١١١٥، ١١١٦.

الكلام الذين يخوضون في الله تعالى وصفاته وأفعاله على هذا النحو الذي ذكره ابن القيم توقفوا في كثير مما جاء في القرآن والسنة في ذلك، وعدلوا عن كثير مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

٣ - عدم رسوخهم في العلم(سمة):

السمة العامة في أهل الأهواء أنهم ليس فيهم من الراسخين في العلم.

قال الشاطبي: «والوصف الثاني بالمعنى الذي أعطاه التقسيم وهو عدم رسوخ في العلم، وكل منفي عنه الرسوخ فإلى الجهل هو مائل، ومن جهة الجهل حصل له الزيغ؛ لأن من نفى عنه طريقة الاستنباط، واتباع الأدلة لبعض الجهالات، لم يحل له أن يتبع الأدلة المحكمة ولا المتشابهة، ولو فرضنا أنه يتبع المحكم لم يكن اتباعه مفيداً لحكمه لإمكان أن يتبعه على وجه واضح البطلان أو متشابه. فما ظنك به إذا اتبع المتشابه، ثم اتباعه للمتشابه -ولو كان من جهة الاسترشاد به لا للفتنة به- لم يحصل به مقصود على حال. فما ظنك به إذا اتبع ابتغاء الفتنة؟ وهكذا المحكم إذا اتبعه ابتغاء الفتنة به فكثيراً ما ترى الجهال يحتجون لأنفسهم بأدلة فاسدة وبأدلة صحيحة اقتصاراً بالنظر على دليل ما، واطِّراحاً للنظر في غيره من الأدلة الأصولية والفروعية العاضدة لنظره أو المعارضة له، وكثيراً ممن يدعي العلم يتخذ هذا الطريق مسلكاً»(١).

وقال الشاطبي أيضاً: «وقال محمد بن الفضل البلخي: ذهاب الإسلام من أربعة: لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلمون ما لا يعلمون، ويمنعون الناس من التعلم.

هذا ما قال وهو وصف صوفيتنا اليوم، عياذاً بالله»(٢).

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٢٢ .

(٢) الاعتصام ١/ ٩٦ .

وقال البخاري: «وقال عبد العزيز بن أبي سلمة: إن كلام جهم صنعة بلا معنى، وبناء بلا أساس، ولم يعد قط من أهل العلم».

ولقد سئل جهم عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها فقال: عليها العدة، فخالف كتاب الله بجهله. وقال الله سبحانه: ﴿**فما لكم عليهن من عدة تعتدونها**﴾[1]».

وكذلك ذكروا عن ابن كرام رأس الكرامية، قال ابن حبان: «خذل حتى التقط من المذاهب أرداها ومن المذاهب أوهاها»[2]، وقال الذهبي: «وكان ناشفاً عابداً قليل العلم»[3]، وكذلك الحال في أغلب رؤوس البدع، فأغلب رؤوس الرافضة من الجهال، وكذلك الصوفية وأهل الكلام، والفلاسفة، سائرهم قليلة بضاعتهم من العلم الشرعي والفقه في الدين.

وقال ابن حجر في الفتح: «وأخرج ابن أبي حاتم في كتاب (الرد على الجهمية) من طريق خلف بن سليمان البلخي قال: كان جهم من أهل الكوفة، وكان فصيحاً ولم يكن له نفاذ العلم، فلقيه قوم من الزنادقة فقالوا له صف لنا ربك...»[4]، وفي نص آخر قال: «ولم يكن له علم ولا مجالسة لأهل العلم»[5].

٤ - من جهلهم زعمهم أن طريقة الخلف أعلم وأحكم:

نظرة أهل الأهواء لعلماء السلف قاصرة ورديئة، حيث يلمزونهم بقصر النظـــر وقلة القدرة على التعمـق في العلـم، وأنهم لذلك آثروا السلامة، وهذا باطل فإن السلف كانوا أهل علم وذكاء ومقدرة على التعمق لكنهم

---

(١) خلق أفعال العباد ٣٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٣ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٤ .
(٤) الفتح ١٣/ ٣٤٥ .
(٥) الفتح ١٣/ ٣٤٥ .

وقفوا حيث أمرهم الله ورسوله.

قال شيخ الإسلام: «ومن هنا قال من قال من النفاة: «إن طريقة الخلف أعلم وأحكم، وطريقة السلف أسلم»؛ لأنه ظن أن طريقة الخلف فيها معرفة النفي، الذي هو عنده الحق، وفيها طلب التأويل لمعاني نصوص الإثبات، فكان في هذه عندهم علم بمعقول، وتأويل لمنقول، ليس في الطريقة التي ظنها طريقة السلف، وكان فيه أيضاً ردٌّ على من يتمسك بمدلول النصوص، وهذا عنده من إحكام تلك الطريق.

ومذهب السلف عندهم عدم النظر في فهم النصوص، لتعارض الاحتمالات، وهذا عنده أسلم؛ لأنه إذا كان اللفظ يحتمل عدة معان، فتفسيره ببعضها دون بعض فيه مخاطرة، وفي الإعراض عن ذلك سلامة من هذه المخاطرة»[1].

وما علموا أن السلف هم أهل العلم والعمل، ومن التمس غير سبيلهم هلك، يقول شيخ الإسلام: «ومن آتاه الله علماً وإيماناً، علم أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلا ما هو دون مستوى تحقيق السلف، لا في العلم ولا في العمل»[2].

وقال سفيان الثوري: «إنما العلم بالآثار»[3].

فالعلم ما كان عليه السلف لكن هؤلاء ما بين مقصِّر أو قاصر، أو متعالم مغرور.

---

(١) درء التعارض ٥/ ٣٧٨ .

(٢) الفتاوى ٧/ ٤٣٦ .

(٣) أخرجها أبو نعيم بسنده، الحلية ٧/ ٥٧ .

٥ - حصرهم الحق في أنفسهم وتجاهلهم لأهل السنة:

من سمات المخالفين للسنة أنهم يوهمون الناس بأنهم وحدهم الذين على الحق والاستقامة، ويتجاهلون أهل السنة، أو يلمزونهم، ليصرفوا أنظار الناس عنهم. يقول شيخ الإسلام في ذلك: «فإذا قالوا: قال أهل الحق، أو المحققون، أو اتفقوا، أو أجمعوا، أو نحو ذلك فإنما يعنون طائفتهم من أهل الكلام، أو سائر أهل الكلام من غير اعتبار لأهل السنة غالباً، وإذا ذكروا أهل السنة لمزوهم بالحشوية، أو المقلدة، أو أهل الحديث، أو الحنابلة، أو العامة، وهذه عادة أبي المعالي، حيث يعبر عن أصحابه بأهل الحق، وأبي إسحاق الإسفراييني وغيرهما»[1].

وعلى هذا النهج أمثال: البغدادي، والشهرستاني، والرازي، والغزالي، ومن سار على نهجهم من المتكلمين.

ثم إنهم ينقلون ويحكون الاتفاق أو الإجماع أو القول بأنه مشهور عن الصحابة أو التابعين، أو أهل الحديث، أو الأئمة وفي الحقيقة أن الأمر ليس كذلك مما كان سبباً في التلبيس وعموم الفتنة، وذلك إما لجهلهم، أو تساهلهم، أو توهمهم، أو الكذب من بعضهم كما سأبينه في الفقرة التالية:

٦ - من جهلهم ينسبون أقوالهم للسلف فيما يناقض مذهب السلف أصلاً:

فبعضهم حين ينسب مقولته للسلف لا يفعل ذلك عن علم ونقل صحيح إنما يظن هذا هو الحق فينسبه للسلف، وبعضهم يتعمد الكذب لترويج عقيدته، وآخرون يقصدون بأهل السنة طائفتهم، فينسبون قولهم لأهل السنة، من هؤلاء البغدادي في مثل قوله:

---

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٣٤ - ٥٣٧ (اللاحم).

«واتفق أهل السنة على اختلاف أجناس الأعراض»[١]، مع أن أهل السنة يبدعون من يقول هذا.

وقال: «واتفقوا على حدوث الأعراض في الأجسام»[٢]، وهذا بدعة عند أهل السنة.

وقال: «واتفقوا على أن كل عرض حادث في محل»[٣]، وهو بدعة عندهم.

وقال:« وأجمعوا على وقوف الأرض وسكونها»[٤]. ولم يجمعوا على ذلك.

وقال: «وأجمعوا على إحالة وصفه بالصورة والأعضاء»[٥]، والسلف أهل السنة يثبتون الصورة كما ورد في النصوص بما يليق بالله تعالى، أما الأعضاء فيبدعون من تكلم بها نفياً أو إثباتاً.

وقد حكى إجماعات كثيرة في أمور ينهى السلف عن الخوض فيها ابتداء فضلاً عن أن يتفقوا فيها[٦].

كما جعل البغدادي أصول المتكلمين أركاناً لأصول السنة[٧]. موهماً أن ذلك ما عليه السلف، والسلف يتبرَّؤون من هذا المنهج ويمقتونه ويحذرون منه.

---

(١) الفرق بين الفرق ٣٢٩ .
(٢) السابق ٣٢٩ .
(٣) السابق ٣٢٩ .
(٤) السابق ٣٢٩، ٣٣٠ .
(٥) السابق ٣٣٢ .
(٦) الفرق بين الفرق ٣٢٩ وما بعدها .
(٧) انظر الفرق بين الفرق ٣٢٤ وما بعدها.

(٤) الخصومات والمراء والجدال بغير حق (منهج وسمة):

الخصومات والمراء والجدال في ذات الله وأسمائه وصفاته وفي سائر أمور العقيدة من أصول أهل الأهواء ومناهجهم وسماتهم عموماً، والمتكلمين بخاصة، وقد ذكر الله تعالى عن هذا الصنف في هذه الأمة والأمم الأخرى، حيث ذكر أنواعاً من خصوماتهم وجدالهم، ومن ذلك:

١ - القول على الله بلا علم قال تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة:الأعراف، آية: ٣٣].

٢ - قولهم على الله غير الحق قال تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِيثَاقُ الْكِتَابِ أن لا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إلا الْحَقَ﴾ [سورة:الأعراف، آية: ١٦٩]، وقال ﴿ولا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلا الْحَقَ﴾ [سورة:النساء، آية: ١٧١].

٣ - الجدل فيما ليس لهم به علم قال تعالى: ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [سورة:آل عمران، آية: ٦٦].

٤ - الجدل في الحق بعد ظهوره قال تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [سورة: الأنفال، آية: ٦].

٥ - الجدل بالباطل قال تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [سورة:غافر، آية: ٥].

٦ - الجدل في آيات الله قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ...﴾ [سورة:غافر، آية: ٣٥].

٧ - التفرق والاختلاف قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المفلحُونَ * ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ *

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[سورة:آل عمران ، آية: ١٠٣-١٠٦][1]. ومعلوم أن الذين تفرقوا من بعد ما جاءهم البينات هم أهل الأهواء والخصومات، وهم الذين تسود وجوههم يوم القيامة.

قال محمد بن الحنفية: «لا تفنى الدنيا حتى تكون خصومات الناس في ربهم»[2]، وقال عمر بن عبد العزيز: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر الشك، أو قال: يكثر التحول»[3].

ولتعلقهم بالخصومات والجدال ابتلوا باتباع شرار المسائل والأغلوطات، وما لا يعقل أصلاً؛ لأن الخصومة واللجاجة تلجئهم إلى المحارات والتعمق، وقد نهى السلف عن هذا المسلك، عن الحسن قال: «شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله»[4].

والخصومة واللجاج والجدل من صفات أهل الباطل، فقد وصف الله تعالى المشركين بأنهم قوم (خَصِمون) أي أهل خصومة بالباطل فقال تعالى: ﴿**ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون * وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون**﴾[سورة:الزخرف، آية:٥٧،٥٨].

والبلوى بالجدل علامة الخذلان من الله عز وجل، وعلامة الضلال واتباع الهوى. كما قال النبي ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل**».

---

(١) انظر درء التعارض ٤٦-٤٨ .
(٢) اللالكائي ١/ ١٢٧، والإبانة ٢/ ٥٢١ .
(٣) اللالكائي ١/ ١٢٨ .
(٤) صون المنطق ٤٥ .

ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿**ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون**﴾[1].

(٥) اتباع الأهواء والظنون (منهج وسمة):

أبرز سمات أهل الأهواء: (اتباع الهوى واتباع الظن) لذلك سُمُّوا: (أهل الأهواء) ، واتباع الهوى والظن قاسم مشترك بين جميع أهل الضلال والباطل؛ من المشركين والكفار وأهل الافتراق والمبتدعة وأهل المعاصي والفجور.

قال الله تعالى في حق المشركين: ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس**﴾ [سورة: النجم، آية: ٢٣]، وكذلك الحال في سائر أهل البدع والافتراق لأنهم اتصفوا ببعض خصال الكفار.

وقال تعالى في حق المكذبين للرسل من بني إسرائيل ونحوهم: ﴿**أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم**﴾ [سورة: البقرة،آية: ٨٧]. وكل صاحب هوى له من ذلك نصيب.

وقال تعالى: ﴿**كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون**﴾ [سورة: المائدة، آية: ٧٠].

وبين سبحانه أن اتباع الهوى سبب للضلال عن سبيل الله مطلقاً، فقال تعالى: ﴿**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله**﴾ [سورة: القصص، آية: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿**فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل**

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٧٩٣٤) وحسَّنه وعزاه إلى أحمد في المسند والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك كلهم عن أبي أمامة . انظر المسند ٥/ ٢٥٦ وابن ماجه حديث (٤٨) ١/ ١٩ والترمذي لحديث (٣٢٥٣)وقال الترمذي «هذا حديث حسن صحيح» والحاكم ٤/ ٤٤٨ وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٩) ١/ ١٤٦ .

الله﴾ [سورة: الأعراف، آية: ١٧٦].

ونهى الله عز وجل رسوله والمؤمنين عن اتباع أهل الأهواء فقال تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتباع هواه﴾ [سورة: الكهف، آية: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ [سورة: طه، آية: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ [سورة: الجاثية، آية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ولئن اتَّبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ [سورة: البقرة، آية: ١٢٠].

وجعل الله تعالى السلامة من الهوى سبباً لدخول الجنة فقال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾.[سورة : النازعات، آية: ٤٠، ٤١]

وبين سبحانه أن أهل الأهواء والضلال إنما يتبعون الظن فقال:﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾[سورة: يونس، آية: ٣٦].

وقال سبحانه ﴿إن يتَّبعونَ إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ [سورة: الأنعام، آية: ١١٦].

قال شيخ الإسلام: «وصاحب الهوى يعميه ويصمه الهوى، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السنة وهو الحق وهو الدين، فإذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة

الله هي العليا، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه، أو فعل ذلك شجاعة وطبعاً، أو لغرض من الدنيا لم يكن لله ولم يكن مجاهداً في سبيل الله فكيف إذا كان الذي يدَّعي الحق والسنة هو كنظيره معه حق وباطل وسنة وبدعة ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة، وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم شيعاً وكفر بعضهم بعضاً وفسق بعضهم بعضاً»[1].

والفارق بين صاحب السنة وصاحب الهوى، أن صاحب الهوى يتعصب لهواه ويماري فيه ويخاصم، والسني لا يتعصب للأهواء، سئل أبو بكر بن عياش قال له رجل: يا أبا بكر: من السني؟ قال: الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها[2].

فأهل الأهواء يتبعون أهواءهم ويتعصبون لها. وأهل السنة لا يتعصبون للأهواء كما أن أهل الأهواء يجمعون بين الهوى واتباع الظن، وهما متلازمان غالباً.

قال ابن القيم في الرد على أهل الكلام وأهل الأهواء:

«إن الكلام في الدين نوعان: أمر وخبر، فما عارض الأمر كان من باب الهوى الذي يأمر به الشيطان والنفس، وما عارض الخبر كان من باب الظن والخرص الذي هو أكذب الحديث، وهؤلاء لا تجدهم إلا وقد جمعوا بين الأمرين، فهم في الإرادات تابعون لأهوائهم، وفي الاعتقادات تابعون لظنونهم، قال تعالى: ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِن رَّبِّهِمُ الْهُدَى**﴾[سورة:النجم، آية: ٢٣]»[3].

وقال: «إن من تأمل أقوال هؤلاء المعارضين للوحي بعقولهم وآرائهم وجدها قد جمعت أمرين، كل منهما يدل على بطلانها:

---

(١) منهاج السنة ٥/ ٢٥٦ .
(٢) اللالكائي ١/ ٦٥ .
(٣) وانظر الصواعق ٤/ ١٢١٠ .

أحدها: اختلافها في نفسها، واضطرابها، وتهافتها، وهذا يدل على أنها ليست من عند الله، كما قال تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾[سورة:النساء، آية: ٨٢].

فيكفيك من فساد القول اختلافه واضطرابه وتناقضه.

الثاني: أن مصدرها الخرص والظن والتخمين، وليست صادرة عن وحي علمت عصمته، ولا عن فطرة وعقل اشترك العقلاء فيما أثبته ونفاه»[1].

وهاتان الخصلتان: اتباع الهوى واتباع الظن، من خصال أهل الأهواء وسماتهم في كل زمان. وهما مبدأ الانحراف والضلال والابتداع ومنتهاه. ولا يسلم منهما إلا من سلَّم لوحي الله تعالى واتَّبع ما جاء به الرسول ﷺ وسلك سبيل السنة والجماعة: اعتقاداً وقولاً وعملاً. وكل من أخل بشيء من ذلك فهو متّبع للظن والهوى بقدر إخلاله، فمن مقل أو مكثر أو مدبر بالكلية. نسأل الله السلامة من الهوى والظن الباطل.

(٦) من منهج أهل الأهواء وسماتهم التلبيس (منهج وسمة):

أي لبس الحق بالباطل، واستخدام الأساليب والمصطلحات والألفاظ الموهمة للحق لإيهام الناس وخداعهم، وللترويج لمقولاتهم وعقائدهم.

ومن ذلك تسميتهم أنفسهم بأسماء أهل الحق: كأهل التوحيد، والعدل، والمؤمنين، وأهل الحق، وأهل السنة وأولياء الله ونحو ذلك.

وقد ذم الله تعالى هذه الخصلة في بني إسرائيل ونهى عنها، قال تعالى: ﴿**وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وأَنتُمْ تَعلَمُونَ**﴾[سورة:البقرة، آية: ٤٢].

فمن تلبيسات أهل الأهواء:

---

(١) الصواعق ١٤٢٩، ١٤٣٠ .

١ - دعواهم أنهم أهل الحق والتوحيد والعدل والاستقامة والسنة:

ما من صاحب هوى وبدعة إلا ويدعي أنه على الحق، ولذلك نجد غالب أهل الافتراق يسمون أنفسهم بأسماء وصفات وألقاب توهم أنهم على الحق، وأنهم الناجون، فالخوارج يسمون أنفسهم: أهل الحق، والمؤمنين ، وأهل الإسلام، وأهل الدعوة، والمعتزلة يسمون أنفسهم: أهل العدل، وأهل التوحيد، والصوفية يسمون أنفسهم: الأولياء، والمتكلمون يسمون أنفسهم أهل الاستقامة والسنة والنظر.

وهكذا سائر الفرق، مع أنهم كلهم ليسوا كذلك، إنما أهل هذه الصفات هم الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بذلك والذين على ما كان عليه هو ﷺ وأصحابه وهم أهل السنة والجماعة.

٢ - ومن التلبيس جعلهم السنة بدعة والبدعة سنة:

فهم يزعمون أن أصولهم ومقولاتهم هي السنة، ويجعلون السنة هي البدعة، فيصفون ما عليه الصحابة والأئمة - حتى أئمتهم في المذاهب، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد - يجعلون أقوالهم في العقيدة هي البدعة. والسنة ما أحدثوه من الكلام والمقولات والأمثلة لذلك كثيرة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«إن الإمام أحمد في أمره باتِّباع السنة، ومعرفته بها، ولزومه لها، ونهيه عن البدع، وذمّه لها ولأهلها، وعقوبته لأهلها - بالحال التي لا تخفى- ثم إن كثيراً ممّا نصّ هو على أنه من البدع التي يُذم أهلُها، صار بعض أتباعه يعتقد أن ذلك من السنة، وأن الذي يُذم من خالف ذلك، مثل كلامه في مسألة القرآن في مواضع: منها تبديعه لمن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، وتجهيمه لمن قال: مخلوق. ثم إن من أصحابه من جعل ما بدَّعه الإمام أحمد هو السنة، فتراهم يحكمون على ما هو من صفات العبد -كألفاظهم وأصواتهم وغير ذلك - بأنه

غير مخلوق، بل يقولون: هو قديم. ثم إنهم يبدِّعون من لا يقوم بذلك، ويحكمون في هؤلاء بما قاله أحمد في المبتدعة، وهو فيهم.

وكذلك ما أثبته أحمد من الصفات التي جاءت بها الآثار واتفق عليها السلف، كالصفات الفعلية من الاستواء والنزول والمجيء والتكلم إذا شاء وغير ذلك، فينكرون ذلك بزعم أن الحوادث لا تحل به، ويجعلون ذلك بدعة، ويحكمون على أصحابه بما حكم به أحمد في أهل البدع، وهم من أهل البدعة الذين ذمهم أحمد، لا أولئك؛ ونظائر هذا كثيرة»[1].

قلت: سواء كان هذا الانحراف صائراً عن التباس على بعض قائليه، أو عن ابتداع فإنه في سبيل الأهواء وتلبيساتهم، أما فاعله وقائله فأمره إلى الله، إذ قد يكون من المنتسبين للسنة لكنه أخطأ فصار أمره ملبساً على غيره، والله أعلم.

٣ - من تلبيسهم إلحاق البدع المحدثة بالعمل المشروع:

ومن تلبيسات أهل الأهواء إلحاقهم بعض بدعهم بأمور مشروعة، إما عن هوى أو عن جهل.

يقول الشاطبي: «وأما غير العالم وهو الواضع لها [يعني البدع]، فإنه لا يمكن أن يعتقدها بدعة، بل هي عنده مما يلحق بالمشروعات، كقول من جعل يوم الاثنين يصام؛ لأنه يوم مولد النبي ﷺ، وجعل الثاني عشر من ربيع الأول ملحقاً بأيام الأعياد؛ لأنه -عليه السلام- ولد فيه، وكمن عَدّ السماع والغناء مما يتقرب به إلى الله بناء على أنه يجلب الأحوال السنية، أو رغب في الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلوات دائماً بناء على ما جاء في ذلك حالة الوحدة، أو زاد في الشريعة أحاديث مكذوبة لينصر في زعمه سنة محمد ﷺ.

---

(١) الاستقامة ١/ ١٥ .

فلما قيل له: إنك تكذب عليه، وقد قال: «**من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**». قال: لم أكذب عليه وإنما كذبت له. أو نقص منها تأويلاً عليها لقوله تعالى في ذم الكفار: ﴿**إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً**﴾ فأسقط اعتبار الأحاديث المنقولة بالآحاد لذلك ولما أشبهه؛ لأن خبر الواحد ظني، فهذه كلها من قبيل التأويل.

وأما المقلد فكذلك أيضاً لأنه يقول: فلان المقتدى به يعمل بهذا العمل ويفتي كاتخاذ الغناء جزءاً من أجزاء طريقة التصوف بناء منهم على أن شيوخ التصوف قد سمعوه وتواجدوا عليه، ومنهم من مات بسببه، وكتمزيق الثياب عند التواجد بالرقص وسواه؛ لأنهم قد فعلوه، وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتمين إلى التصوف.

وربما احتجوا على بدعتهم بالجنيد والبسطامي والشبلي وغيرهم فيما صح عندهم أو لم يصح، ويتركون أن يحتجوا بسنة الله ورسوله وهي التي لا شائبة فيها إذا نقلها العدول وفسرها أهلها المكبون على فهمها وتعلمها. ولكنهم مع ذلك لا يقرون بالخلاف للسنة بحتاً، بل يدخلون تحت أذيال التأويل، وإذا لا يرضى منتم إلى الإسلام بإبداء صفحة الخلاف للسنة أصلاً»[1].

٤ - ومن تلبيسهم قلب الحقائق والتلاعب بالألفاظ:

من تلبيس أهل الأهواء على الناس: قلبهم للحقائق، وتسميتهم للأشياء والألقاب في غير موضعها اللغوي أو الشرعي، والتلاعب بالألفاظ، واستعمال المصطلحات والألفاظ المجملة والمحتملة في غير معناها الأصلي، وإغفال المعنى الشرعي المفهوم عند السلف أو نفيه تلبيساً وإيهاماً أنه معنى فاسد.

يقول ابن القيم: «ومن ذلك لفظ العدل، جعلته القدرية اسماً لإنكار

---

(١) الاعتصام ٢/ ٦٣، ٦٤.

قدرة الرب على أفعال عباده، وخلقه لها، ومشيئته، فجعلوا إخراجها عن قدرته ومشيئته وخلقه هو العدل، وجعل سلفهم إخْرَاجَها عن تقدم علمه، وكتابته من العدل، وسموا أنفسهم بالعدلية، وعمدوا إلى إثبات عموم قدرته على كل شيء من الأعيان والأفعال، وخلقه لكل شيء، وشمول مشيئته له، فسموه حيزاً، ثم نفوا هذا المعنى الصحيح، وعبروا عنه بهذا الاسم المنكر، وأثبتوا ذلك المعنى الباطل، وعبروا عنه بالاسم المعروف، ثم سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وسموا مَنْ أثبتَ صفات الرب، وأثبت قدره وقضاءه أهل التشبيه والجبر. وكذلك فعل الرافضة سواء سموا موالاة الصحابة نصباً، ومعاداتهم موالاة لأهل بيت رسول الله ﷺ، وكذلك المرجئة سموا مَنْ قال في الإيمان بقول الصحابة والتابعين واستثنى فيه فقال: أنا مؤمن إن شاء الله، شكاكاً»[1].

وقال: «وإذا قالوا لمن أثبت الصفات: إنه مشبه، صوروا في الذهن قوماً يقولون: إن الله مثلهم، ولـه وجه كوجوههم، وسمـع كأسماعهم وبصر كأبصارهم، ويدان كأيديهم، ونزول كنزولهم، واستواء كاستوائهم، وفرح كفرحهم.

وإذا قالوا: حشوية، صوروا في ذهن السامع قوماً قد حشوا في الدين ما ليس منه، وأدخلوه فيه، وهو حشو لا أصل له»[2].

ومن تلبيسات أهل الأهواء: استعمال الألفاظ المجملة والمحتملة وعدم مصادمة النصوص مباشرة إنما الاحتيال وإثارة الإشكالات.

قال شيخ الإسلام: «ومما ينبغي أن يعلم أن المبطل إذا أراد أن ينفي ما

---

(١) الصواعق ٣/ ٩٤٩، ٩٥٠.

(٢) الصواعق ٣/ ٩٥١.

أثبته القرآن أو يثبت ما نفاه، لم يصادم لفظ القرآن إلا إذا أفرط في الجهل، مثل من ينكر من الجهمية إطلاق القول بأن الله تعالى كلم موسى تكليماً أو أن الرحمن على العرش استوى ونحو ذلك»[1].

وقال: «وإذا كانت ألفاظ النصوص لها حرمة، لا يمكن المظهر للإسلام أن يعارضها، فهم يعبرون عن المعاني التي تنافيها بعبارات أخرى ابتدعوها ويكون فيها اشتباه وإجمال ...» ثم ذكر كلام الإمام أحمد في أهل الأهواء وجاء فيه: «يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم»[2].

٥ - ومن التلبيس زعمهم أن بعض السلف على مذاهبهم:

لما عد البغدادي متكلمة أهل السنة -كما سماهم- ذكر منهم:

من الصحابة علي بن أبي طالب، ومن التابعين عمر بن عبد العزيز، ثم جعفر الصادق، ثم ذكر أبا حنيفة والشافعي، وابن سريج ثم أبا الحسن الأشعري[3].

ومن المفارقات العجيبة أن هؤلاء الذين عدهم البغدادي من متكلمة السنة كما سماهم كانوا أشد السلف على أهل الكلام والأهواء -عدا الأشعري- وقد كان الأشعري حرباً على المعتزلة، لكن خالط مذهبه شيء من الكلام.

فقد كانوا ممن تصدى بقوة وحزم لأسلاف المتكلمين الخوارج والشيعة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٨٢ (حقي).

(٢) بيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٨٣ (حقي) وانظر كلام الإمام أحمد في الرد على الزنادقة والجهمية ٨٥ .

(٣) الصواعق ٣/ ٩٥١ .

والقدرية ورؤوس المتكلمين أمثال: غيلان، والجعد، والجهم، وعمرو بن عبيد، وواصل، والمريسي. وهؤلاء هم أسلاف المتكلمين الذين تصدى لهم السلف ومنهم الذين ذكرهم هنا، أما أن يكون هؤلاء الأئمة الذين ذكرهم هم متكلمة أهل السنة فهذه مغالطة؟

ثم متى كان لأهل السنة متكلمة؟ قد يكون قصده أنهم جادلوا أهل الأهواء والكلام. لكن لا نوافقه على هذا التلبيس. إن عبارة متكلمة أهل السنة لا تصح بل هي متناقضة، كما لو قيل: رافضة أهل السنة، أو جهمية أهل السنة، أو خوارجهم، أو فلاسفتهم. أيصح ذلك ؟ بالطبع لا.

فهما نقيضان، فإذا قيل أهل السنة فارقتهم الأسماء الأخرى المفترقة.

وهذا التلبيس ليس من عمل البغدادي فحسب (وهو من خيارهم)، بل سائر أهل الأهواء كذلك، فالجهمية والمعتزلة تنسب مذاهبها لبعض الصحابة والتابعين، وكذلك الرافضة، والصوفية. وهكذا كل يدعي وصل ليلى، لكن أصحاب الشأن أهل السنة بريئون من ذلك كله، ومن كان منهم لا يتسمى بغير الإسلام والسنة؟.

٦ - وتسميتهم مذهب السلف في إثبات الصفات (تشبيهاً) ، وأنواع أخرى من الأوصاف والألقاب الشائنة تلبيساً وتمويهاً:

يقول شيخ الأسلام: «وهؤلاء نفاة الأسماء من هؤلاء الغالية من الجهمية الباطنية والفلاسفة، وإنما استطالوا على المعتزلة بنفي الصفات وأخذوا لفظ «التشبيه» بالاشتراك والإجمال، كما أن المعتزلة فعلت كذلك بأهل السنة والجماعة مثبتة الصفات. فلما جعلوا إثبات الصفات من التشبيه الباطل، ألزمهم أولئك بطرد قولهم، فألزموهم نفي الأسماء الحسنى»[1].

---

(١) الصفدية ١/ ١٠٣ .

ومن تلبيسات أهل الأهواء عموماً:

تسميتهم السلف: حشوية، ومشبهة، ومجسمة، ورعاع وأوباش، ونابتة، ووصف أئمة السلف (بالسذاجة) و(الغفلة)[1].

وإطلاقهم على التدين (ثقالة) وترك الفلسفة والكلام (حجر وجهل)[2].

وتسميتهم الأمر والنهي (فتنة وشراً)[3].

وتسميتهم إثبات صفات الله (تجسيماً وتشبيهاً)[4].

وقالوا في اليد والوجه والعين لله تعالى (جوارح وأدوات)[5] لينكروها أو يؤولوها.

وسموا الاستواء (حركة وتحيزاً)[6] لينكروه أو يؤولوه.

وسموا العلو والفوقية (جهة ومكاناً)[7] لينكروه أو يؤولوه.

وسموا النزول والمجي (حركة وانتقالاً)[8] لينكروه أو يؤولوه.

وتسمية أفعال الله وحكمته ومشيئته (أعراض وحوادث)[9] لينكروها أو يؤولوها.

ومن تلبيساتهم الانتماء إلى أئمة أجلاء والزعم بأنهم على مذهبهم لترويج مقالاتهم كانتساب الرافضة لآل البيت، وانتساب أهل الكلام لعلي والحسن

---

(١) راجع الصواعق المرسلة٢/ ٤٤١ وكتاب تبديد الظلام للكوثري ٥، ١٥، ٤٥، ٥٥، ١٥١، ١٥٤، ١٥٧، ١٧١ .

(٢-٩) انظر الصواعق المرسلة ٢/ ٤٣٨-١٤١، ٤/ ١٢١٣ .

وراجع على سبيل المثال: تأويل مشكل الحديث لابن فورك، والإرشاد للجويني، والفرق بين الفرق للبغدادي، والملل والنحل للشهرستاني، وأساس التقديس للرازي، ومقالات الكوثري، وتعليقاته على كتاب التنبيه والرد للملطي، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي، ودفع شبه التشبيه لابن الجوزي، ومقدمة الكوثري على الرسائل السبكية، ونشأة الفكر الفلسفي للنشار. وأي كتاب من كتب المتكلمين -قديماً أو حديثاً- فهو على هذا المنوال.

البصري، وانتساب الصوفية لأهل الصفة وهذا من التلبيس.

ومنه تزيين مقالاتهم وعباراتهم بالألفاظ والمحسنات والأغراب لجذب النفوس واستهواء العقول إليهم.

ومن التلبيس ما فعلته كل فرقة:

فالخوارج يسمون أنفسهم (المؤمنين) وبلدهم (دار الإسلام) و(الهجرة) ويسمون المخالفين (كفاراً) ودارهم (دار حرب).

والرافضة تسمي أهل السنة (الجمهور) ويسمون أنفسهم (المؤمنين) و(أولياء الله) ناهيك عن تفسيراتهم لألفاظ كلام الله تعالى مما هو أشد لبساً وتضليلاً، مثل قولهم في: (مرج البحرين) علي وفاطمة.

(يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) الحسن والحسين.

(الجبت والطاغوت) أبو بكر وعمر.

(والشجرة الملعونةفي القرآن) بنو أمية.

(والبقرة) عائشة.

والقدرية والمعتزلة تسمي إنكار القدر (عدلاً).

ونفي الصفات (توحيداً) وإثباتها (تشبيهاً).

والخروج على الأئمة (أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر).

والجهمية يسمون التعطيل (توحيداً)، والإثبات (تجسيماً).

وأهل الكلام يسمون الفلسفة والعقليات والأوهام (توحيداً).

وتأويل الصفات (تنزيهاً)، وإثباتها (حشواً) و(تجسيماً)، وقد ذكرنا كثيراً من تلبيسات أهل الكلام قبل قليل.

والصوفية تسمي الحلول والاتحاد والشركيات (حقيقة) و(توحيداً).

وتسمي أهل البدع (أولياء) و(أهل الله).

والفلاسفة والباطنية تسمى إلحادها وضلالها (حكمة) و(معرفة) والوحي والشرائع (ظواهر) و(تخييلات) و(جهالات).

وزعمت الباطنية أن (آيات الله) أئمتهم.

والحلال (ما يجب إظهاره)، والحرام (ما يجب ستره).

والصلاة (صلاة الداعي).

والزكاة (إيصال الحكمة).

والصوم (ستر عقائدهم).

والحج (زيارة شيوخهم)[1].

ومما يجب التنبيه له هنا أن تلبيسات أهل الكلام تأتي في معارضة القرآن والسنة وطريقة السلف، فإن سائر أصول المتكلمين لا يدل عليها القرآن، بل هو على نقيضها لكنهم يلبسون على الناس بألفاظ مشتبهات فمثلاً:

قولهم بأن الله تعالى: «ليس على العرش، وليس في العلو ولا فوق، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا يشار إليه، ولا يقرب منه شيء، ولا هو يقرب من شيء، ولا ينزل ولا يجيء، ولا يحتجب، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء»[2] ... إلخ يصادم ما جاء به القرآن وجاءت به السنة من أن الله تعالى على عرشه فوق عباده، قريب منهم يجيء وينزل، إليه يصعد الكلم الطيب، ونحو ذلك لكن أهل الكلام يردون ذلك ويصرفونه باعتراضات وتوهمات يزعمونها عقلية فيزعمون أن ذلك انتقال وحركة، وأنه يعني حلول الحوادث بالله تعالى على نحو ما هو معروف في المخلوقات، مع أن الاستواء والعلو والفوقية لله تعالى ثابتة بنص القرآن وصحيح السنة لكنهم سموا صفات الله

---

(١) انظر الحركات الباطنية للخطيب ١٣٠ وما بعدها.

(٢) انظر بيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٦٠ (الطيار).

وأفعاله بغير اسمها الشرعي ليكون ذلك ذريعة لتأويلها ونفيها.

وقال ابن القيم: «وأما لبس الحق بالباطل: فأنتم تسمون ما أثبته الله لنفسه من الصفات والكلام والعلو والاستواء (تركيباً وتجسيماً وتشبيهاً).

وتسمون عرشه (حيزاً) واستواءه عليه (تحيزاً).

وتسمون صفاته (أعراضاً)، وتنزهونه عنها، وأفعاله (حوادث) وتنفونها عنه، وحكمته (أعراضاً) وتبطلونها، ووجهه الكريم ويديه (جوارح) وتنكرونها.

ويسمون نفيهم وتعطيلهم (تنزيهاً) (وتقديساً وتوحيداً)، فيلتبس الحق بالباطل على من لم يعرف مرادهم من هذا التنزيه والتوحيد والتقديس ولا من ذلك التجسيم والتشبيه والتمثيل»[1].

واعلم يا أخي المسلم -حماني الله وإياك- أن أسلم طريقة في أسماء الله وصفاته، طريقة القرآن والسنة، وهي ما عليه السلف الصالح: إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال كما يليق بجلال الله تعالى وعظيم سلطانه. وأن كل ما زاد عن ألفاظ الشرع فهو قول على الله بغير علم، ورجم بالغيب، ينافي التسليم لله تعالى، فاستمسك بالقرآن والسنة ونهج سلف الأمة وحسبك، وإياك أن تستهويك الأهواء، ويستهويك الشيطان فيضلك عن سبيل الله، أو يلبِّس عليك دينك، واحفظ الله يحفظك.

(٧) التناقض والاضطراب والتلون والحيرة (سمات):

من سمات أهل الأهواء والبدع والافتراق، التناقض والاضطراب والحيرة والشك والتلوّن، والتلون هو سرعة التقلب من رأي إلى رأي، ومن موقف إلى موقف، فلا يكاد يستقر صاحبه على أمر. ومن التلون الظهور لكل حالة بما

---

(١) الصواعق ٤/ ١٢١٣، ١٢١٤ .

يوافقها ولو بغير حق، ولكل قوم بما يوافقهم فهو نوع من النفاق.

وهذا الاضطراب سمة عامة في أغلب أهل الأهواء أفراداً وفرقاً، فالفرقة الواحدة لا تستقر على رأي أو عقيدة أو موقف وإن جمعتها أحياناً بعض الأصول العامة.

فالخوارج -مثلاً- يكاد يكون لكل واحد منهم اعتقاد يخصه، ويجمعهم التكفير بالذنوب، ثم إنهم لم يكن لهم اعتقاد في سائر الأصول يجمعهم: فالأوائل منهم كانوا على مذهب الإثبات وخوضهم قليل في مسائل الصفات ونحوها، والمتأخرون كالإباضية صاروا إلى التعطيل والتأويل ومذهب الجهمية والمعتزلة في أكثر الأصول، كالصفات والقرآن، والرؤية، والشفاعة، والسمعيات. وقد انقسموا إلى فرق شتى.

وكذلك الجهمية والمعتزلة نجدهم فرقاً مفترقة لا يجتمعون على قول وإن تشابهت أصولهم العامة، كالتعطيل والتأويل والقدر والعدل والخروج، لكنهم في مفردات المسائل لا يجتمعون، بل لا يكاد يتفق منهم اثنان إلا نادراً.

ناهيك بالرافضة، فقد كانوا أول أمرهم شيعة، ثم رافضة ولم يجتمعوا على إمام ولا أصل، وكان أوائلهم كالخوارج ليس لهم كثير كلام في العقائد، ثم تحولوا إلى مجسمة ثم إلى معطلة (جهمية ومعتزلة)، ولا تزال مذاهبهم أخلاطاً من هذه الفرق وغيرها إلا أنهم يتميزون بالتقية (النفاق) واختلطت أصولهم بالمجوسية الفارسية والباطنية وتفرقوا إلى فرق شتى.

والصوفية كانت أول أمرها مجرد نزعات في الزهد والتنسك والتعبد على شيء من الجهل وقلة العلم، ثم تحولت إلى طرق ومدارس شتى بين مقابرية وباطنية وحلولية واتحادية وغيرها، ولا تجمعهم عقيدة ولا ينظمهم أصل، وكل

حزب بما لديهم فرحون، وهكذا سائر الفرق المفترقة.

أما رؤوس أهل الأهواء فهم أشد تناقضاً واضطراباً؛ فالواحد منهم تجده يوماً على أصل ومقولة، ثم ما يلبث أن يتراجع أو ينقض قوله وهو يشعر أو لا يشعر، وقد يكفِّر بقول ثم يقول به، وذلك حين أعرضوا عما جاء في الوحي، وعوّلوا على رأيهم في الدين، وجادلوا وتماروا في الدين.

ومن أكثر الفرق تقلباً أهل الكلام، خذ مثلاً:

أبو الحسن الأشعري -وأحسبه أفضل أهل الكلام- كان معتزلياً ثم كلابياً وأخيراً يستقر على مذهب السلف، لكن بلوثات كلامية بقيت آثارها في مذهبه وصارت ذريعة لأتباعه من أهل الكلام فبدؤوها شبراً حتى صارت أميالاً.

ناهيك عن أمثال: الآمدي والجويني والغزالي والرازي قبل رجوعهم عن علم الكلام وتوبتهم منه، فلكل واحد منهم من التناقض والاضطراب الشيء الكثير، فالآمدي انتهى به الأمر إلى الاعتراف بالحيرة، والرازي والجويني انتهى بهما المطاف إلى التسليم بمذهب السلف في الجملة وظنوا أنه التفويض، والغزالي تقلب بين الفلسفة ثم الكلام، ثم التصوف ثم التسليم بمذهب السلف إجمالاً. وسيأتي تفصيل ذلك عنهم في بحث مستقل إن شاء الله.

فإذا كان الأمر كذلك في مثل هؤلاء من أهل الكلام وهم مَن هم في فضلهم وعلمهم، فكيف بمن هم دونهم من أهل الأهواء والافتراق؟!

وأحسن وصف قرأته وأجمعه لأهل الأهواء والافتراق وفساد أصولهم قول الإمام أحمد فيهم: «هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويلبسون على جهال الناس بما

يتكلمون به من المتشابه»[1].

وإليك شيئاً من تناقضات أهل الأهواء واضطرابهم وتلونهم على جهة التفصيل:

١ - التناقض والاضطراب في الاستدلال:

من أصولهم إثبات بعض الأدلة السمعية، والإقرار بها ابتداء، ثم إثبات ما يوجب إبطالها في نهاية الأمر، وهذا تناقض[2].

وهذا ناتج عن الخلل في الأصول والمناهج ابتداء فهم وإن سلموا بدلالة النصوص فإنما يستدلون بما يصلح لهم.

ثم جهلهم وقلة إحاطتهم بالنصوص وقلة بضاعتهم في الحديث، أو إسقاطهم لأكثره كأحاديث الآحاد يوقعهم في هذا. حتى سموا أحاديث الصفات (حشواً) والسلف وأهل الحديث: (الحشوية).

والأخطر من ذلك أنهم يوردون النص ودلالته، ثم يلقون عليه الشك والإشكال عمداً فيقعون في إنكار دلالة النص في النهاية أو تفويضها كما يفعل أهل الكلام.

٢ - تناقض أهل الأهواء والافتراق في جميع الأصول:

من خصائص مذهب أهل السنة والجماعة أن قولهم في كل مسائل الاعتقاد وأصول الدين قول واحد، وهو بنصه ومعناه ما تقرر في الكتاب والسنة وإجماع السلف، فلا يختلف أهل السنة في شيء من ذلك من أول جيل (عصر الصحابة) إلى يومنا هذا، وهذا بحمد الله مما تكفل الله به من حفظ

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ٨٥، وانظر الفتاوى ٣/ ٣٠٧.

(٢) انظر درء التعارض ١/ ١٨١.

الدين فهو الصراط المستقيم، والعروة الوثقى، وسبيل المؤمنين، لا تعدد فيه ولا اختلاف؛ لأنه مؤسس على اليقين وعلى الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

أما أهل الأهواء فلا يتفقون في الأصل الواحد على قول واحد، فكيف بسائر الأصول، وهذا وحده دليل كاف لبطلان ما هم عليه لمن وهبه الله البصيرة، وسأعقد مقارنة موجزة لبيان هذه الحقيقة بالمثال، أعني أن قول أهل السنة في أصول الدين قول واحد، وأن أقوال أهل الأهواء كثيرة ومتناقضة ومتعارضة وإليك الأمثلة:

المعتقد	قول أهل السنة	أقوال أهل الأهواء
أسماء الله تعالى	يثبتونها كما جاءت من غير تمثيل. (قول واحد)	التعطيل/ التأويل/ التجهيل/ التخييل/ هي هو/ هي غيره/ لا معاني لها/ مجاز/ لها ظاهر وباطن/ إلخ.. (أقوال كثيرة).
صفات الله تعالى	يثبتونها كما جاءت من غير تمثيل. (قول واحد)	التعطيل/ التجهيل/ التمثيل/ التأويل/ التفويض/ هي هو/ هي غيره/ أعراض/ أحوال/ غير أعراض/ ليست أحوالاً/ لا معاني لها/ مجاز/ غير حقيقة/ بعضها يثبت وبعضها لا يثبت/ إلخ ... (أقوال كثيرة).
كلام الله	الله تعالى موصوف بالكلام، كما وصف نفسه، متى شاء وكيف شاء، وقد تكلم سبحانه على ما يليق بجلاله. (قول واحد)	ما يخلقه على ألسنة المخلوقات/ معاني نفسية/ فيض/ إلهام/ وجدان/ عبارة/ قديم/ محدث/ لا يوصف. (أقوال كثيرة).
القرآن	كلام الله منزل غير مخلوق. (قول واحد)	مخلوق/ كلام نفسي/ معاني قائمة بالنفس/ ما يحدثه في خلقه/ يخلقه على لسان الملك أو الرسول/ فيض/ إلهام / وجدان في نفس النبي/ إشراق الروح/ لا مخلوق ولا غير مخلوق/ أزلي/ محدث/ ليس بمحدث.. إلخ.

المعتقد	قول أهل السنة	أقوال أهل الأهواء
الرؤية	يرى المؤمنون ربهم في الجنة على ما يليق بجلال الله بأبصارهم. (قول واحد).	(أقوال كثيرة). نفي الرؤية/ تأويلها بالقلبية/ يرى إلى غير جهة/ الرؤية عبارة عن يقين القلب/ رؤية آياته/ رؤية النعيم والجزاء/ يرى بحاسة سادسة. (أقوال كثيرة).
عصاة المسلمين (أهل الكبائر)	مسلمون مؤمنون بإيمانهم، فساق بمعاصيهم وفي الآخرة أمرهم إلى الله، إن شاء غفر لهم، أو عذبهم وتشملهم شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر. (قول واحد).	كفار/ حلال الدم إذا أصروا/ وفي الآخرة خالدون في النار/ مؤمنون كإيمان جبريل/ في المنزلة بين المنزلتين/ لا مؤمنون ولا كفار/ منافقون/ لا شفاعة مطلقاً/ باب الشفاعة مفتوح بلا شرط/ لا أحد يشفع/ الكل يشفع بلا قيد. (أقوال كثيرة).
الإيمان	قول وعمل، يزيد وينقص. (قول واحد).	التصديق/ التصديق والقول/ القول فقط/ المعرفة/ معرفة الإمام أو الولي/ يزيد ولا ينقص/ لا يزيد ولا ينقص/ قول بلا عمل/ تصديق بلا عمل. (أقوال كثيرة).

وهكذا سائر أصول الدين .

٣ - من مظاهر التناقض عندهم: الوقوع في نقيض القصد:

ما من صاحب بدعة إلا ويقع في عكس ما نزع إليه في بدعته أو في ما فرَّ منه.

فالخوارج غلت في الأحكام والأسماء، حيث كفرت بالمعصية فوقعت في ما هو من أعظم المعاصي وهو رد السنة وتكفير الصحابة، وسائر المؤمنين سواهم، واستحلال الدماء.

والرافضة غلت في آل البيت، فكفّرت الصحابة وزعمت ردتهم، وعادت المسلمين، ووقعت في إنكار مصادر الدين، وتقديس الرجال، بل غلت الرافضة في شخص فكفّرت أمة.

والجهمية أنكرت الصفات تنزيهاً فشبهت الله بالمعدوم، وردت النصوص الشرعية الصريحة.

والقدرية أنكرت العلم السابق فوصفوا الله بالجهل وجعلت الإنسان خالقاً مع الله. وهكذا .

٤ - الخلط بين السنن والمحدثات والبدع:

أهل الأهواء والافتراق حيث انحرفت أصولهم في التلقي والاستدلال، صاروا يخلطون بين السنن والبدع تلفيقاً وجهلاً فلايميزون بين سنة وبدعة.

قال شيخ الإسلام بعد ذكر أهل الكلام والرأي وأهل التصوف: «وصار لهؤلاء من التعبد المحدث طريق يتدينون به، مع تمسكهم بغالب الدين، ولهؤلاء من التعبد المحدث طريق يتمسكون به، مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع، وصار لهؤلاء حال من السماع والصوت حتى أن أحدهم يموت أو يغشى عليه.

ولهؤلاء حال في الكلام والحروف حتى خرجوا به إلى تكفير أوقعهم في تحير.

وهؤلاء أصل أمرهم الكلام. وهؤلاء أصل أمرهم الإرادة.

وهؤلاء يقصدون بالكلام التوحيد ويسمون نفوسهم الموحدين.

وهؤلاء يقصدون بالإرادة التوحيد ويسمون نفوسهم أهل التوحيد والتجريد.

ولهذا نجد كتب الكلام والتصوف خرجت من البصرة»[1].

٥ - الجمع بين المتناقضات في الاعتقادات:

قال شيخ الإسلام: «بل تجد أحدهم يجمع بين النقيضين أو بين رفع النقيضين، والنقيضان اللذان هما الإثبات والنفي لا يجتمعان ولا يرتفعان، بل هذا يفيد صاحبه الشك والوقف فيتردد بين الاعتقادين المتناقضين الإثبات والنفي، كما يتردد بين الإرادتين المتناقضتين.

وهذا هو حال حذَّاق هؤلاء، كأبي المعالي وأبي حامد، والشهرستاني، والرازي، والآمدي. وأما ابن سينا وأمثاله فأعظم تناقضاً واضطراباً، والمعتزلة بين هؤلاء وهؤلاء في التناقض والاضطراب.

وسبب ذلك جعل ما ليس بمعقول معقولاً لاشتباه الأمر ودقة المسائل، وإلا فالمعقولات الصريحة لا تتناقض، والمنقولات الصحيحة عن المعصوم لا تتناقض.

وقد اعتبرت هذا في عامة ما خاض الناس فيه من هذه الأمور، دقيقها وجليلها، فوجدت الأمر كذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد يشكل الشيء ويشتبه أمره في الابتداء، فإذا حصل الاستعانة بالله واستهداؤه ودعاؤه والافتقار إليه، أو سلوك الطريق الذي أمر بسلوكها هدى الله الذين آمنوا لما

---

(١) الفتاوى ١٠/ ٣٥٩-٣٦٠.

اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[1].

٦ - ليس عند أهل الأهواء قطعيات ولا يقين في حقيقة الأمر إلا ما جاء به الرسول ﷺ:

نظراً لأن مبنى أصول أهل الأهواء على الظنون والأهواء والأوهام والشكوك والاعتراضات، فقد خلت قلوبهم من اليقين وليس عندهم قطعيات باقية، إذ قد يدعون أن شيئاً ما قطعي، ثم هم يعدلون عنه، أو ينقضونه، أو يوردون عليه الإشكالات أو لا يجتمعون عليه.

قال شيخ الإسلام: «وكذلك كون العلم ضرورياً ونظرياً، والاعتقاد قطعياً وظنياً أمور نسبية، فقد يكون الشيء قطعياً عند شخص في حال وهو عند آخر وفي حال أخرى مجهول، فضلاً عن أن يكون مظنوناً، وقد يكون الشيء ضرورياً لشخص في حال ونظرياً لشخص في حال أخرى.

وأما ما أخبر به الرسول ﷺ فإنه حق في نفسه لا يختلف باختلاف عقائد الناس وأحوالهم، فهو الحق الذي لا يقبل النقيض، ولهذا كل ما عارضه فهو باطل مطلقاً، ومن هنا يتبين لك أن الذين بنوا أمرهم على مقدمات إما ضرورية أو نظرية أو قطعية أو ظنية بنوها على أمور تقبل التغيير والاستحالة، فإن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، وأما ما جاء به الرسول ﷺ فهو حق لايقبل النقيض بحال، فهو ﷺ يخبر بالحق كما قال أهل الجنة لما دخلوها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾»[2].

لذلك ليس عند أهل الأهواء صبر ولا يقين في عقائدهم ومواقفهم،

---

(١) الصفدية ١/ ٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) درء التعارض ٣/ ٣٠٤.

بخلاف أئمة السلف، فهم أهل الصبر واليقين، لذلك كانوا أئمة يهدون بأمر الله، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[سورة:السجدة، آية: ٢٤].

فهم يتميزون بالصبر على دين الله والثبات عليه ثم اليقين فيه فلا تردد ولا اضطراب ولا شك ولا تهور كما عند المتكلمين[١].

٧ - مقدماتهم التي يعولون عليها يختلفون فيها ويناقضونها:

قال ابن الوزير (محمد بن المرتضى اليماني ت ٨٤٠هـ):

«بيان أن خوض جميع المتكلمين في عقائدهم الخلافية بين الفرق الإسلامية يتوقف دائماً -أو غالباً- على الخوض في مقدمات لتلك العقائد، وجميع تلك المقدمات مختلف فيها أشد الاختلاف بين أذكياء العالم وفحول علم المعقولات من علماء الإسلام، دع عنك غيرهم (ثم ضرب أمثلة لذلك)»[٢].

فإن من أبرز خصائص أهل الأهواء -عموماً- والمتكلمين -خصوصاً- تعارض أدلتهم وتناقضها أو نقض بعضهم لأصول الفريق الآخر حتى في الفرقة الواحدة -كالأشاعرة- فالمتأخرون منهم يناقضون ما عليه الأوائل.

فالمعتزلة تنقض أصول الجهمية، والأشاعرة تنقض أصول المعتزلة، والفلاسفة تنقض أصول الأشاعرة، ويتجلى هذا التناقض في مسائل، منها:

مسألة الرؤية، وكلام الله تعالى والقرآن، والصفات، والقدر والإيمان وأنها أمثال تضرب لتقريبها للحس والخيال[٣].

---

(١) انظر كلام شيخ الإسلام في إمامة أحمد في بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٥٨ (حقي).

(٢) إيثار الحق ١٥ .

(٣) راجع الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد ١٨٥-١٩١ وانظر بيان تلبيس الجهمية (رشيد) ٢/ ٤٣٥ وما بعدها.

قال ابن القيم في أصناف أهل الأهواء:

«الصنف الأول: أصحاب التأويل: وهم أشد الأصناف اضطراباً، إذ لم يثبت لهم قدم في الفرق بين ما يتأول وما لا يتأول، ولا ضابط مطرد منعكس تجب مراعاته وتمنع مخالفته بخلاف سائر الفرق، فإنهم جروا على ضابط واحد وإن كان فيهم من هو أشد خطأ من أصحاب التأويل كما سنذكره»[1] ولذا وقعوا في :

٨ - التنقل وعدم الاستقرار على رأي:

فأهل الأهواء متقلبون، لا يستقر أحدهم على مذهب أو رأي، وسبب ذلك كثرة الجدال والمراء والخصومات. وترك الاعتماد على مصادر اليقين: الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

قال عمر بن عبد العزيز: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل»[2].

كما أوقعهم ذلك في:

٩ - الحيرة والشك والاضطراب في تقرير مقالاتهم الفاسدة:

قال شيخ الإسلام في وصف حالهم: «وأما الرابع فهو منتهى قول أئمة الجهميَّة، وهو الحيرة والشك لتكافؤ الأدلة عند بعضهم، أو لعدم الدليل المرشد عند بعضهم. وهذا عند أصحاب الوحدة هو أعلى العلم بالله تعالى، والكلام في هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا التنبيه على مجامع الأقوال ومنشأ الضلال، حيث أخذوا

---

(١) الصواعق المرسلة ٢/ ٤١٨ .

(٢) الشرح والإبانة ١٤٣ .

اللفظ «التشبيه» بمعنى مشترك مجمل فأرادوا نفيه بكل معنى من المعاني، ومن المعلوم أنه ما من موجودين إلا وبينهما قدر يتفقان فيه، وإن كان المعنى الكليّ المشترك وجوده في الأذهان لا في الأعيان، فلا بد أن يكون بين أفراد الاسم العام الكليّ نوع من المشابهة باعتبار اتفاقهما في ذلك المعنى العام، وهذا موضع غَلِطَ فيه كثير من الناس في أحكام الأمور الكلية التي تشتبه فيها أعيانها»[1].

ومن أعظم ما وقع فيه أهل الأهواء:

١٠ - الاضطراب والتناقض في موقفهم من السلف:

من مظاهر التلون أن كثيراً من أهل البدع والأهواء قد تراه يثني على السلف ويمدح طريقتهم، وقد يقررها ويدَّعي اعتقادها أو شيء منها، ثم ما يلبث أن ينعطف عليهم وينقلب بالإعراض عن منهجهم أو سبهم أو لمزهم، أو تقرير ما يخالف عقيدتهم ومنهجهم، وقد يشعر بذلك أو لا يشعر أو يكون ممن التبس عليه الحق بالباطل.

أمثلة ذلك:

كبار الأشاعرة كالرازي، والجويني، والغزالي، والبغدادي، والشهرستاني وأكثر متأخريهم فإنهم يثنون على السلف فيما يوافقونهم فيه، وفي مسائل الخلاف كالصفات ينقلبون عليهم، ويَسِمُونَهُم بالتشبيه والحشو والغفلة ونحو ذلك.

ومثلهم كبار الصوفية المتأخرين (أما الأوائل فأكثر موافقة للسلف في العقيدة) وسائر أهل الأهواء فتجد أحدهم يثني على السلف في مقام، وقد يكون ذلك من باب ترويج بضاعته أو دفع التهمة عن نفسه، وقد يكون ذلك

---

(١) الصفدية ١/ ٩٩ .

عن صدق وحسن نية أحياناً، ثم ما يلبث أن ينعطف على السلف بالسب واللمز والتهكم وإطلاق الألفاظ الشنيعة عليهم عندما يخالفهم ويكثر هذا في تقرير مسائل الصفات.

١١ - اضطرابهم وإفلاسهم واعترافهم بذلك في نهاية الأمر:

الأمر العجيب أن غالب كبار المتكلمين ينتهي بهم المطاف إلى الاعتراف بالإفلاس والاضطراب والتسليم لمذهب السلف، ومع ذلك يبقى مقلدوهم على ضلالهم.

قال شيخ الإسلام: «وقد بلغني بإسناد متصل عن بعض رؤوسهم وهو الخونجي صاحب (كشف الأسرار) -وهو عند كثير منهم غاية في هذا الفن- أنه قال عند الموت: «أموت وما علمت شيئاً إلا أن الممكن يفتقر إلى الواجب» ثم قال: «الافتقار وصف عدمي أموت وما علمت شيئاً» وذكر الثقة عن هذا الآمدي أنه قال: «أمعنت النظر في الكلام وما استفدت منه شيئاً إلا ما عليه العوام» أو كلاماً هذا معناه، وذلك أن هذا الآمدي لم يقرر في كتبه لا التوحيد ولا حدوث العالم ولا إثبات واجب الوجود، بل ذكر في التوحيد طرقاً زيفها وذكر طريقة زعم أنه ابتكرها وهي أضعف من غيرها، وكان ابن عربي صاحب (الفصوص) و(الفتوحات) وغيرهما يعظم طريقته ويقول: إن الطريقة التي ابتكرها في التوحيد طريقة عظيمة أو ما هو نحو هذا حتى أمضى الأمر بعض أعيان القضاة الذين نظروا في كلامه إلى أن قال التوحيد لا يقوم عليه دليل عقلي وإنما يعلم بالسمع فقام عليه أهل بلده وسعوا في عقوبته وجرت له قصة: وكذلك الأصبهاني اجتمع بالشيخ إبراهيم الجعبري يوماً فقال له: «بت البارحة أفكر إلى الصباح في دليل على التوحيد سالم عن المعارض فما وجدته». وكذلك حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي أنه قال: أبيت بالليل وأستلقي على ظهري وأضع المحفة على وجهي وأبيت أقابل

أدلة هؤلاء بأدلة هؤلاء وبالعكس وأصبح وما ترجح عندي شيء»[1].

قلت: أما قصة رجوع أبي المعالي الجويني، وابن الخطيب الرازي، والحجة الغزالي -وهم أكابر المتكلمين- عن الكلام والتسليم بمذهب السلف والتحذير من الكلام فهي مشهورة ويظهر -والله أعلم- أن هؤلاء وأمثالهم أصحاب نية صادقة، فوفقوا للتوبة. لكن ما عذر الذين سلكوا طريقهم، وقد رجعوا هم عنها وحذروا منها؟ اللهم إنا نسألك الثبات على الحق.

١٢ - الانحراف عند أهل الأهواء أنواع شتى (لكل منهم وجهة):

قال شيخ الإسلام: «إذا تبين ذلك فغالب الفقهاء إنما يتكلمون به في الطاعات الشرعية مع العقلية، وغالب الصوفية إنما يتبعون الطاعات المليلة مع العقلية، وغالب المتفلسفة يقفون على الطاعات العقلية، ولهذا أكثر المتفقهة من ينحرف عن طاعات القلب وعباداته: من الإخلاص لله، والتوكل عليه، والمحبة له، والخشية له ونحو ذلك، وكثير في المتفقرة والمتصوفة ينحرف عن الطاعات الشرعية، فلا يبالون إذا حصل لهم توحيد القلب وتألُّه أن يكون ما أوجبه الله من الصلوات، وشرعه من أنواع القراءة والذكر والدعوات أن يتناولوا ما حرم الله من المطاعم، وأن يتعبدوا بالعبادات البدعية والرهبانية ونحوها ويعتاضوا بسماع المكاء والتصدية عن سماع القرآن، وأن يقفوا مع الحقيقة القدرية معرضين عن الأمر والنهي»[2].

وقال: «ومما يُعتبر به أن النسَّاك وأهل العبادة والإرادة توسعوا في السمع والبصر، وتوسَّع العلماء وأهل الكلام والنظر في الكلام والنظر بالقلب، حتى صار لهؤلاء الكلام المحدَث، ولهؤلاء السماع المحدَث: هؤلاء في الحروف،

---

(١) درء التعارض ٣/ ٢٦٢-٢٦٤ .

(٢) الفتاوى ٢٠/ ٧٢، ٢٢١ .

وهؤلاء في الصوت، وتجد أهل السماع كثيري الإنكار على أهل الكلام، كما صنَّف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي مصنَّفاً في ذم الكلام وأهله، وهما(*) من أئمة أهل السماع، ونجد أهل العلم والكلام مبالغين في ذم أهل السماع، كما نجده في كلام أبي بكر بن فورك، وكلام المتكلمين في ذم السماع وأهله والصوفية ما لا يُحصى كثرة.

وذلك أن هؤلاء فيهم انحراف يشبه انحراف اليهود أهل العلم والكلام، وهؤلاء فيهم انحراف يشبه انحراف النصارى أهل العبادة والإرادة»(١).

١٣ - كل منهم يقول عن الآخر إنه ليس على شيء:

وفي قولهم هذا شبه بأهل الكتاب، وقد أخبر النبي ﷺ بوقوع طوائف من هذه الأمة فيما وقع فيه أهل الكتاب. فقد قالت كل فرقة في الأخرى كما قالت اليهود: ﴿**لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ**﴾[سورة:البقرة، آية: ١١٣].

قال شيخ الإسلام: «واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط، فالخارجي يقول: ليس الشيعي على شيء، والشيعي يقول: ليس الخارجي على شيء، والقدري النافي يقول: ليس المثبت على شيء، والقدري الجبري المثبت يقول: ليس النافي على شيء، والوعيدية تقول: ليست المرجئة على شيء، والمرجئة تقول: ليست الوعيدية على شيء، بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الأصولية والفروعية المنتسبين إلى السنة، فالكلابي يقول: ليس الكرامي على شيء، والكرامي يقول: ليس الكلابي على شيء، والأشعري يقول: ليس السالمي على شيء، والسالمي يقول: ليس الأشعري على شيء، ويصنِّف السالمي كأبي علي الأهوازي كتاباً في مثالب الأشعري، ويصنف الأشعري كابن عساكر كتاباً يناقض ذلك من كل وجه، وذكر فيه مثالب السالمية»(٢).

(*) لم يذكر الآخر هنا ولعله الهروي صاحب (ذم الكلام).

(١) الاستقامة ١/ ٢٢٠، ٢٢١ . (٢) منهاج السنة ٥/ ٢٦٠، ٢٦١ .

«وقال إبراهيم النخعي في قوله -عز وجل- : ﴿**وألقينا بينهم العداوة والبغضاء**﴾ قال: «هم أصحاب الأهواء»[1].

(٨) الغل على المسلمين وسب السلف ولمزهم(منهج وسمة):

لعل قائلاً يقول: كيف يقال إن أهل الأهواء في قلوبهم غل على المسلمين وهم يَدَّعَون الإسلام، وَيْدعُون إلى الإسلام ونصرته والإشفاق على المسلمين. فيقال: نعم، مع دعواهم هذه فهم يحصرون الحق والولاء في جماعتهم ويرون غيرهم من المسلمين ضالاً هالكاً، فالخوارج يكفرون غيرهم، والرافضة كفروا الصحابة فضلاً عن عامة المسلمين، والمعتزلة ضللوا غيرهم، وسَبُّوا أئمة الهدى وقدحوا في عدالتهم.. وهكذا.

وقد ذكر الشاطبي إنموذجاً لأهل الأهواء يتمثل في عمرو بن عبيد، رأس المعتزلة. قال الشاطبي: «وقال عمر بن النضر: سُئل عمرو بن عبيد يوماً عن شيء -وأنا عنده- فأجاب فيه. فقلت له: ليس هكذا يقول أصحابنا، قال: ومن أصحابك لا أبا لك؟ قلت: أيوب، يونس، ابن عون، التيمي. قال: أولئك أنجاس أرجاس، أموات غير أحياء. وقال ابن علية: حدثني اليسع، قال: تكلم واصل (يعني ابن عطاء) يوماً -قال- فقال عمرو بن عبيد: ألا تسمعون؟ ما كلام الحسن وابن سيرين عندما تسمعون إلا خرقة حيضة ملقاة، وكان واصل بن عطاء أول من تكلم في الاعتزال فدخل معه في ذلك عمرو بن عبيد فأُعجب به، فزوجه أخته. وقال لها: زوجتك برجل ما يصلح إلا أن يكون خليفة. ثم تجاوزوا الحد حتى ردوا القرآن بالتلويح والتصريح لرأيهم السوء. فحكى عمرو بن علي أنه سمع ممن يثق به أنه قال: كنت عند عمرو بن عبيد -وهو جالس على دكان عثمان الطويل- فأتاه رجل فقال: يا

---

(١) الشرح والإبانة ١٤١ .

أبا عثمان! ما سمعت من الحسن يقول في قول الله -عز وجل-: ﴿**قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم**﴾ قال: تريد أخبرك برأي حسن. قال: لا أريد إلا ما سمعت من الحسن: قال: سمعت الحسن يقول: كتب الله على قوم القتل فلا يموتون إلا قتلاً، وكتب على قوم الهدم فلا يموتون إلا هدماً، وكتب على قوم الغرق فلا يموتون إلا غرقاً، وكتب على قوم الحريق فلا يموتون إلا حرقاً. فقال له عثمان الطويل: يا أبا عثمان، ليس هذا قولنا. قال عمرو: قد قلت أريد أن أخبرك برأي الحسن، فأنا أكذب على الحسن. وعن الأثرم عن أحمد بن حنبل قال: حدثنا معاذ. قال: كنت عند عمرو بن عبيد فجاءه عثمان بن فلان. فقال: يا أبا عثمان! سمعت -والله- بالكفر. قال ما هو؟ لا تعجل بالكفر. قال: هاشم الأوقص زعم أن ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب**﴾ وقوله تعالى ﴿**ذرني ومن خلقت وحيداً**﴾ لم يكن هذا في أم الكتاب، والله تعالى يقول: ﴿**حم * والكتاب المبين إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون * وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم**﴾ فما الكفر إلا هذا فسكت ساعة ثم تكلم فقال: والله لو كان الأمر كما تقول ما كان على أبي لهب من لوم، ولا كان على الوحيد من لوم. قال عثمان -في مجلسه-: هذا والله الدين -قال معاذ- ثم قال في آخره: فذكرته لوكيع، فقال: يستتاب قائلها فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[1].

فائدة هامة:

لقد صرف الله تعالى الشتم المباشر عن أهل السنة كما صرف الله تعالى الذم المباشر عن رسول الله ﷺ حين كانت قريش تعيره وتسب مذمماً وليس هذا اسم النبي ﷺ إنما اسمه محمداً قال النبي ﷺ: «**يسبون مذمما وأنا محمد**»[2] كذلك الأمر في سب السلف، لا نجد من أهل الأهواء من سب

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٣٢ - ٢٣٤ . (٢) البخاري ٤/ ١٨٥، ١٨٦ .

أهل السنة والحديث مباشرة، بل ينصرف الذم للمجسمة والحشوية والناصبة.

وحقيقة الأمر أن السلف ليسوا مجسمة ولا حشوية ولا ناصبة، فصرف الله عنهم السب.

وبالمقابل نجد أن الله تعالى سلط ألسنة عباده الصالحين على الفرق بأسمائها، الجهمية، والرافضة، والمعتزلة، والخوارج ففضحوهم، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

والآن أسوق جملة من مناهج أهل الأهواء تجاه السلف وأقوال أهل العلم:

١ - الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ:

أول من تجرأ بالطعن في أصحاب رسول الله ﷺ السبئيّة الأولى (الخوارج والشيعة) ثم صار هذا ديناً للرافضة، والخوارج، وسمة لأكثر أهل الأهواء كالجهمية والمعتزلة.

أما الرافضة فتطعن في سائر الصحابة وتسبهم وتشتمهم ولا تستثني إلا عدداً لا يتجاوز السبعة! كذبت عليهم وزعمت أنهم يوالون آل البيت على منهجها الغالي.

وليعلم أن أهل السنة كلهم يوالون آل البيت الولاء الشرعي.

والخوارج والجهمية والمعتزلة تطعن في عدد من الصحابة وأصناف منهم كأهل صفين والجمل، وعثمان وعلي وطلحة والزبير، وابن عمر لروايته بعض أحاديث القدر والصفات.

فهم لا يعنون بسبهم أئمة السلف الذين عاصروهم فقط، بل تطاولوا على أفضل الأئمة أصحاب رسول الله.

قال سفيان بن عيينة: «من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو

صاحب هوى»[1]

وقال عمرو بن عبيد في الصحابي الجليل -رضي الله عنه- عبد الله بن عمر: «وكان ابن عمر حشوياً»[2].

٢ - بغضهم للحديث والإسناد وأهله:

عن أحمد بن سنان قال: «ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل بدعة نزعت حلاوة الحديث من قلبه»[3].

وقال أبو نصر بن سلام البخاري الفقيه:« ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده»[4].

٣ - كذبهم وتقولهم على الأئمة العلماء:

قال شيخ الإسلام في وصف أهل الأهواء: «ثم هؤلاء يحكون إجماعات يجعلونها من أصول علمهم، ولا يمكنهم نقلها عن واحد من أئمة الإسلام، وإنما ذلك بحسب ما يقوم في أنفسهم من الظن، فيحكون ذلك عن الأئمة، كأبي حنيفة، وما لك، والشافعي، وأحمد في المحافل.

فإذا قيل لأحدهم في الخلوة: أنت حكيت أن هذا قول هؤلاء الأئمة فمن نقل ذلك عنهم؟ قال: هذا رأي العقلاء. والأئمة لا يخالفون العقلاء، فيحكون أقوال السلف والأئمة، لاعتقادهم أن العقل دل على ذلك. وقال: «ولكن أهل البدع كلامهم الكذب: إما عمداً وإما بطريق الابتداع»[5].

---

(١) انظر شرح السنة للبربهاري ٢٨ .

(٢) انظر درء التعارض ٧/ ٣٥١، والفتاوى ١٢/ ١٧٦ .

(٣) صون المنطق ٤١ .

(٤) صون المنطق ٤١ .

(٥) درء التعارض ٥/ ٣٩٠ .

وقال: «ولا يحسب اللبيب أن في العقل أو في السمع ما يخالف ذلك؛ بل من تبحر في المعقولات ووقف على أسرارها: علم قطعاً أن ليس في العقل الصريح الذي لا يكذب قط ما يخالف مذهب السلف وأهل الحديث: بل يخالف ما قد يتوهمه المنازعون لهم بظلمة قلوبهم وأهواء نفوسهم؛ أو ما قد يفترونه عليهم لعدم التقوى، وقلة الإيمان. ولو فرض -على سبيل التقدير- أن العقل الصريح الذي لا يكذب يناقض بعض الأخبار، للزم أحد الأمرين: إما تكذيب الناقل، أو تأويل المنقول، لكن -ولله الحمد- هذا لم يقع؛ ولا ينبغي أن يقع، فإن حفظ الله لما أنزله في الكتاب والحكمة يأبى ذلك. نعم! يوجد مثل هذا في أحاديث وضعتها الزنادقة ليشينوا بها أهل الحديث، كحديث «عرق الخيل» و«الجمل الأورق» وغير ذلك مما يعلم العلماء بالحديث أنه كذب»[1].

وقال: «ولكن الذين في قلوبهم زيغ من أهل الأهواء لا يفهمون من كلام الله وكلام رسوله وكلام السابقين الأولين التابعين لهم بإحسان في «باب صفات الله» إلا المعاني التي تليق بالخلق؛ لا بالخالق، ثم يريدون تحريف الكلم عن مواضعه في كلام الله وكلام رسوله إذا وجدوا ذلك فيها وإن وجدوه في كلام التابعين للسلف افتروا الكذب عليهم، ونقلوا عنهم بحسب الفهم الباطل الذي فهموه، أو زاد عليهم في الألفاظ، وغيرها قدراً ووصفاً كما نسمع من ألسنتهم أو نرى من كتبهم»[2].

وقال في كذب الرافضة: «ونحن نعلم من أحوال أئمتنا أنه قد أضيف إلى جعفر الصادق -وليس هو بنبي من الأنبياء- من جنس هذه الأمور ما يعلم كل عالم بحال جعفر -رضي الله عنه- أن ذلك كذب عليه؛ فإن الكذب عليه من أعظم الكذب، حتى نسب إليه أحكام «الحركات السفلية» كاختلاج

---

(١) الفتاوى ٣٣/ ١٧٢، ١٧٣ .

(٢) الفتاوى ٣٣/ ١٧٠ .

الأعضاء وحوادث الجو من الرعد، والبرق، والهالة، وقوس الله، الذي يقال له: «قوس قزح» وأمثال ذلك، والعلماء يعلمون أنه بريء من ذلك كله.

وكذلك نسب إليه «الجدول» الذي بنى عليه الضلال طائفة من الرافضة، وهو كذلك مفتعل عليه، افتعله عليه عبد الله بن معاوية أحد المشهورين بالكذب، مع رياسته، وعظمته عند أتباعه.

وكذلك أضيف إليه كتاب «الجفر، والبطاقة، والهفت»، وكل ذلك كذب عليه باتفاق أهل العلم به، حتى أضيف إليه «رسائل إخوان الصفا» وهذا في غاية الجهل؛ فإن هذه الرسائل إنما وضعت بعد موته بأكثر من مائتي سنة؛ فإنه توفي سنة ثمان وأربعين ومائة، وهذه الرسائل وضعت في دولة بني بويه في أثناء المائة الرابعة في أوائل دولة بني عبيد الذين بنوا القاهرة، وضعها جماعة؛ وزعموا أنهم جمعوا بها بين الشريعة والفلسفة، فضلوا وأضلوا»[1].

٤ - لمز السلف أهل الحديث والسنة وتعييرهم وسبهم وبغضهم أو بعضهم:

من منهج أهل الأهواء لمز السلف أهل السنة والجماعة أو بعضهم وتعييرهم بالألقاب المشينة، وإظهار ما يدل على بغضهم لهم، ومجانبتهم لهم ولسبيلهم سبيل المؤمنين، فكل طائفة من أهل البدع تلقب أهل السنة بباطل[2].

فالرافضة تسمي أهل السنة النواصب، والجمهور؛ لأنهم لا يغلون في آل البيت، ولأنهم أكثرية.

والقدرية تسميهم مجبرة؛ لأنهم يقولون بعموم علم الله تعالى وقدره ومشيئته.

---

(١) الفتاوى ٣٥/ ١٨٣ .

(٢) انظر عقيدة السلف ص ١٠٥ واللالكائي ١/ ١٧٩، والفتاوى ٢٨/ ٤٧٧، وصون المنطق ١٤٧ .

والمرجئة تسميهم شكاكاً، ومخالفة ونقصانية؛ لأنهم يستثنون في الإيمان ويقولون بزيادته ونقصانه.

والجهمية تسميهم مشبهة؛ لأنه يثبتون الأسماء والصفات كما وردت.

والمعتزلة وأهل الكلام يسمونهم حشوية. ونوابت وغثاء وغثراً وزوامل أسفار؛ لأنهم أهل حديث وآثار.

بينما أهل السنة لا يلحقهم إلا اسم واحد هو السنة والجماعة ويستحيل أن تجتمع فيهم هذه الصفات والأسماء فتأمل عافاك الله.

روى الإمام الصابوني بسنده في عقيدة السلف أصحاب الحديث عن أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي يقول: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة؛ وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة»[1].

وقد روى اللالكائي نحو ذلك قال:

قال أبو محمد وسمعت أبي يقول: وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر. وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار.

وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهة.

وعلامة القدرية: تسميتهم أهل الأثر مجبرة.

وعلامة المرجئة : تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية.

وعلامة الرافضة : تسميتهم أهل السنة ناصبة.

ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء[2].

---

(١) عقيدة السلف ١٠٥ .

(٢) اللالكائي ١/ ١٧٩ .

وقال شيخ الإسلام: «وهذا نظير ما تحكي الرافضة عن أهل السنة من أهل الحديث والفقه والعبادة المعرفة أنهم ناصبة وتحكي القدرية عنهم أنهم مجبرة، وتحكي الجهمية عنهم أنهم مشبهة، وتحكي من خالف الحديث ونابذ أهله عنهم: أنهم نابتة، وحشوية، وغثاء وغثراً. إلى غير ذلك من الأسماء المكذوبة، ومن تأمل كتب المتكلمين الذين يخالفون هذا القول وجدهم لا يبحثون في الغالب أو في الجميع إلا مع هذا القول الذي ما علمنا لقائله وجوداً»[1].

يقول البربهاري: «وإذا سمعت الرجل يقول فلان ناصبي فاعلم أنه رافضي، وإذا سمعت الرجل يقول فلان مشبه أو فلان يتكلم بالتشبيه فاعلم أنه جهمي، وإذا سمعت الرجل يقول تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد(*) فاعلم أنه خارجي معتزلي، أو يقول فلان مجبر أو يتكلم بالإجبار، أو تكلم بالعدل فاعلم أنه قدري؛ لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل البدع»[2].

كلمة (الحشوية) أول من أطلقها (عمرو بن عبيد) رأس المعتزلة :

أول من عرف أنه تكلم بهذه العبارة عمرو بن عبيد، حين ذكر له عن ابن عمر -رضي الله عنه- ما يخالف مقولته فقال: «كان ابن عمر حشوياً»[3] نسبة إلى حشو الناس وهم العامة والجمهور.

وأخرج الذهبي في سير أعلام النبلاء:

«لما استأذن ابن أبي داود على الجاحظ قال: «من أنت؟ قال: رجل من أصحاب الحديث، فقال: أو ما علمت أني لا أقول بالحشوية»[4].

---

(١) الفتاوى ٣٣/ ١٧١ . (*) يقصدون بالتوحيد: نفي صفات الله تعالى وتأويلها.

(٢) شرح السنة للبربهاري ٥٢ .

(٣) انظر منهاج السنة ٢/ ٥٢٠، ودرء التعارض ٧/ ٣٥١، والفتاوى ١٢/ ١٧٦، وبيان تلبيس الجهمية ١/ ١٥٥ (رشيد حسن).

(٤) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٠ .

والجاحظ متكلم معتزلي يرى أن أهل الحديث والأثر (حشوية).

فائـــدة:

أهل الكلام أحق بوصف الحشوية؛ لأن من منهجهم المراء والجدال والخصومات وإكثارهم من الكلام وحشو العبارات، لذا فهم أحق باسم الحشوية، فإن سائر كلامهم حشو لا فائدة فيه، وكذلك مصنفاتهم ومناظراتهم يحشونها بالكلام الفارغ والظنون والأوهام. أما الأحاديث والآثار فهي والله الزبدة والثمرة والخلاصة واللب لكنهم قوم يعدلون عن الحق.

فالسمة العامة لأهل الأهواء كراهية أهل الحديث.

قال الذهبي في ترجمة أحمد بن سنان: «قال جعفر: سمعت أبي أحمد بن سنان يقول: ليس في الدنيا مبتدع إلا ويبغض أصحاب الحديث، إذا ابتدع الرجل بدعة نزع حلاوة الحديث من قلبه»[1].

قال الأوزاعي: «ما ابتدع رجل إلا غل صدره على المسلمين»[2].

وقال: «كنا نتحدث أنه ما ابتدع أحد بدعة إلا سلب ورعه»[3].

وقال الشاطبي بعد ذكر الخوارج مبيناً أن الابتداع يوجب الافتراق والعداوة عند المبتدعة:

«ثم يليهم كل من ابتدع بدعة فإن من شأنهم أن يثبطوا الناس عن اتِّباع الشريعة ويذمونهم ويزعمون أنهم الأرجاس الأنجاس المكبِّين على الدنيا ويضعون عليهم شواهد الآيات في ذم الدنيا وذم المكبين عليها. كما يروى عن عمرو بن عبيد أنه قال: لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير على شراك

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٢١.

(٢) تاريخ الإسلام ١٤١-١٦٠/ ٤٩٢.

(٣) تاريخ الإسلام ١٤١-١٦٠/ ٤٩٢.

نعل ما أجزت شهادتهم هكذا!.. نعوذ بالله من الخذلان.

وعن معاذ بن معاذ قال: قلت لعمرو بن عبيد: كيف حدث الحسن عن عثمان أنه ورث امرأة عبد الرحمن بعد انقضاء عدتها؟ فقال: إن فعل عثمان لم يكن سنة.

وقيل له: كيف حدث الحسن عن سمرة في السكتتين؟ فقال: ما تصنع بسمرة! قبح الله سمرة أهـ.

بل قبح الله عمرو بن عبيد.

وسئل يوماً عن شيء فأجاب فيه. قال الراوي: قلت ليس هكذا يقول أصحابنا. قال: ومن أصحابك لا أبا لك؟ قلت: أيوب ، ويونس، وابن عون، والتيمي. قال: أولئك أنجاس أرجاس، أموات غير أحياء.

فهكذا أهل الضلال يسبون السلف الصالح لعل بضاعتهم تنفق ﴿**ويأبى الله إلا أن يتم نوره**﴾.

وأصل هذا الفساد من قبل الخوارج فهم أول من لعن السلف الصالح وكفَّر الصحابة رضي الله عن الصحابة»[1].

وقال الشاطبي أيضاً مبيناً أن من علامات أهل الأهواء ذم من مدحهم الله، ومدح من ذمهم الله:

«وأصل هذه العلامة في الاعتبار تكفير الخوارج -لعنهم الله- الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- ، فإنهم ذموا من مدحه الله ورسوله واتفق السلف الصالح على مدحهم والثناء عليهم، ومدحوا من اتفق السلف الصالح على ذمه، كعبد الرحمن بن ملجم قاتل عليّ -رضي الله عنه- وصوبوا قتله إياه،

---

(١) الاعتصام ١/ ١١٩، ١٢٠ .

وقالوا: إن في شأنه نزل قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله**﴾ وأما التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا**﴾ الآية، فإنها نزلت في شأن علي -رضي الله عنه- ، وكذبوا -قاتلهم الله- وقال عمران بن حطان في مدحه لابن ملجم:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

وكذب -لعنه الله- فإذا رأيت من يجري على هذا الطريق، فهو من الفرق المخالفة، وبالله التوفيق.

وروي عن إسماعيل بن علية، قال: حدثني اليسع، قال: تكلم واصل بن عطاء يوماً -يعني المعتزلي- فقال عمرو بن عبيد: ألا تسمعون؟ ما كلام الحسن وابن سيرين -عندما تسمعون- إلا خرقة حيض ملقاة.

روي أن زعيماً من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل الكلام على الفقه، فكان يقول: إن علم الشافعي وأبي حنيفة، جملته لا يخرج من سراويل امرأة. هذا كلام هؤلاء الزائفين، قاتلهم الله»[1].

قلت: وهذه السمة لا تزال في بعض أهل الأهواء، وبعض المثقفين والمتعالمين حيث يعيرون المشايخ وطلاب العلم بفقه الحيض والنفاس، وما علموا أن ذلك من دين الله.

وروى الصابوني بسنده عن الحاكم قال: «سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعت [أبا إسماعيل] محمد بن إسماعيل الترمذي يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبي عبد الله أحمد بن

---

(١) الاعتصام ٢/ ٢٣٨، ٢٣٩ .

حنبل فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله! ذكروا لابن قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: «أصحاب الحديث قوم سوء. فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه وهو يقول: زنديق زنديق زنديق حتى دخل البيت»[1].

وقال الصابوني أيضاً: «وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم واستخفافهم بهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة اعتقاداً منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، وكلماتهم وحججهم العاطلة، بل شبههم الداحضة الباطلة. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [سورة: محمد، آية: ٢٣]. ﴿وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾»[2] [سورة: الحج، آية:١٨].

وروى مسلم في صحيحه عن حماد بن زيد قال: كان رجل قد لزم أيوب وسمع منه ففقده أيوب فقالوا: يا أبا بكر إنه قد لزم عمرو بن عبيد، قال حماد: فبينا أنا يوماً مع أيوب وقد بكرنا إلى السوق فاستقبله الرجل فسلم عليه أيوب وسأله ثم قال له أيوب: بلغني أنك لزمت ذلك الرجل، قال حماد: سماه يعني عمراً، قال: نعم يا أبا بكر إنه يجيئنا بأشياء غرائب، قال: يقول له أيوب: إنما نفرّ أو نَفْرَق من تلك الغرائب.

وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا سليمان بن حرب حدثنا ابن زيد -يعني حماداً- قال: قيل لأيوب: إن عمرو بن عبيد روى عن الحسن، قال: لا يجلد السكران من النبيذ، فقال: كذب أنا سمعت الحسن يقول يجلد السكران

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ١٠٣ .

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث ١٠١، ١٠٢ .

من النبيذ.

وحدثني حجاج حدثنا سليمان بن حرب قال: سمعت سلام بن أبي مطيع يقول: بلغ أيوب أنِّي آتي عمراً فأقبل عليّ يوماً فقال: أرأيت رجلاً لا تأمنه على دينه كيف تأمنه على الحديث.

وحدثني سلمة بن شبيت حدثنا الحميدي حدثنا سفيان قال: سمعت أبا موسى يقول حدثنا عمرو بن عبيد قبل أن يُحْدِث»[1] أي قبل أن يبتدع.

وروى مسلم أيضاً عن يونس بن عبيد قال: «كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث، إن عمرو بن عبيد حدثنا عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: « من حمل علينا السلاح فليس منا» قال: كذب والله عمرو ولكنه أراد أن يحورها إلى قوله الخبيث[2]»[3].

فائدة:

كما أن حب أهل السنة من علامة الاستقامة، فكذلك بغضهم من علامة أهل الأهواء والبدع.

أخرج اللالكائي عن أحمد بن عبدالله بن يونس يقول: امتحن أهل الموصل بمعافي بن عمران فإن أحبوه فهم أهل السنة وإن أبغضوه فهم أهل بدعة كما يمتحن أهل الكوفة (بيحيى).

وعن قتيبة يقول: إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن محمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه -وذكر قوماً آخرين -فإنه على السنة، ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع»[4].

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٢٣ .

(٢) يقصد أنه كذب في الاسناد عن الحسن لا في أن الحديث مكذوب، انظر الهامش.

(٣) مسلم ١/ ٢٢ .

(٤) اللالكائي ١/ ٦٦، ٦٧ الأثران ٥٨، ٥٩ .

٥ - ومن منهجهم وسماتهم تضليل أئمة الإسلام:

من سمات كثير من أهل الأهواء وأصولهم الباطلة: تضليل أهل السنة وتكفيرهم. قال الذهبي: «قال ابن أبي دؤاد للمعتصم في الإمام أحمد حين المناظرة على القرآن: «يا أمير المؤمنين هو والله ضال مضل مبتدع»[١].

وقال ابن أبي دؤاد للمعتصم حينما قال: «لقد ارتكبت إثماً في أمر هذا الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين إنه والله كافر مشرك قد أشرك من غير وجه»[٢].

يعني: أحمد بن حنبل الذي أجمعت الأمة بكل طوائفها على إمامته.

٦ - ومن ذلك: تسميتهم أهل السنة حنابلة:

لما امتحن المأمون الناس ليقولوا بخلق القرآن صمد اثنان: أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح، فالثاني لقي ربه، والأول أشهر السنة رغم ضربه وسجنه، فكان أن نصر الله السنة بهذا الموقف.

والإمام أحمد إمام السنة في سائر أمور الدين، وكان موقفه سبباً في نصر أهل السنة وإعلائهم وتمسكهم، الخاصة منهم والعامة، وتعلق قلوب الناس بالإمام أحمد وبالسنة التي هي شعاره، ومن هنا تميز أهل الأهواء بخلاف ذلك فصاروا يلمزون أهل السنة ويصفونهم بالحنابلة.

وهو مدح يشبه الذم، بل تزكية على لسان خصم، أراد به الذم فانقلبت بحمد الله إلى المدح، فإن الانتساب لإمام السنة اعتزاز بالسنة وأهلها.

٧ - جهلهم بمذهب السلف أو تجاهلهم له:

من ذلك أن الغزالي حصر الحق بأربع فرق بحيث لا يخرج منها:

---

(١) سير ١١/ ٢٤٦.

(٢) سير ١١/ ٢٥٣.

المتكلمون، والباطنية، والفلاسفة والصوفية[1].

قلت: سبحان الله، هل ذهل الغزالي عن ذكر مذهب السلف، أو لا يعرفه، أو هو يضللهم فلا يدخلهم أصلاً في أهل الحق؟ لست أدري فالله المستعان، وفي آخر كلامه انتهى إلى القول بأن طريق الصوفية هو طريق الحق.

إذن فقد أخرج أهل السنة من أهل الحق؟!.

وكذلك البغدادي خلط مذهب السلف بأهل الرأي، قال: «فأما الفرقة الثالثة والسبعون (الناجية) فهي أهل السنة والجماعة من فريقي الرأي والحديث دون من يشتري لهو الحديث»[2].

ولما ذكر جمهور أهل السنة عدهم «أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة والأوزاعي والثوري وأهل الظاهر»[3]، ولم يذكر الإمام أحمد وهو يمثل مذهب السلف كمن ذكرهم، بل هو أولى من بعضهم، إلا إن كان يراه من أهل الظاهر؟

والشهرستاني ذكر أهل السنة ضمن فرقة المشبهة وخلط بينهم وغلط في تقرير مذهب السلف[4]. فتأمل حفظك الله.

(٩) موقفهم العدائي مع المخالفين (منهج وسمة):

أهل الأهواء والبدع والافتراق لا يدعون المخالف لهم،بل يقفون مع مخالفيهم مواقف عدائية من التضليل والتكفير والتضييق، واستعداء السلطان إذا أمكنهم ذلك، والتجهيل، وإطلاق ألفاظ السب والشتم والتهكم

---

(١) المنقذ من الضلال ٩٣ .

(٢) الفرق بين الفرق ٢٦ .

(٣) الفرق بين الفرق ٢٦ - ٢٨ .

(٤) الملل والنحل ١/ ١٠٣-١٠٧ .

والسخرية والتعيير، وقد ذكرت أصنافاً من ذلك في مبحث (الغل على المسلمين وسب السلف).

والآن سأذكر أنواعاً أخرى من مواقف أهل الأهواء تجاه المخالفين لهم.

١ - مواقفهم من المخالفين إجمالاً:

أ - الخوارج يتدينون بقتال المسلم المخالف لهم ويعاملونه معاملة الكفار وربما المشركين.

ب - «والجهمية المعتزلة امتحنوا الناس لما مال إليهم بعض الولاة»[١].

جـ - «والرافضة شر منهم، إذا تمكنوا فإنهم يوالون الكفار وينصرونهم ويعادون من المسلمين كل من لم يوافقهم على رأيهم»[٢].

د - وكذلك كل من فيه نوع من البدع، كبدع الحلولية، أو النفاة، أو الغلاة في الإثبات، أو من بدع القدرية والمرجئة، أو نحو ذلك تجده يعتقد اعتقادات فاسدة ويكفر من خالفه أو يلعنه[٣].

٢ - مواقفهم من المخالفين التضييق والإلزام بالباطل:

وكلما صار لأهل الأهواء تمكين، أو صارت لهم دولة، ضيقوا على مخالفيهم، وألزموهم ببدعهم، وذلك:

من جنس ما كانت تستحله الجهمية المعطلة -كالفلاسفة والمعتزلة وسائر نفاة الصفات- من أهل السنة والجماعة، لما امتحنوا الناس في خلافة المأمون وأظهروا القول بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يُرى في الآخرة، ونفوا أن

---

(١) انظر منهاج السنة ٤/ ٥٣٧، ٥٣٨ .

(٢) منهاج السنة ٤/ ٥٣٧، ٥٣٨ .

(٣) منهاج السنة ٤/ ٥٣٧، ٥٣٨ .

يكون لله علم، أو قدرة أو كلام أو مشيئة، أو شيء من الصفات القائمة بذاته. وصار كل من وافقهم على هذا التعطيل عصموا دمه وماله، وولوه الولايات وأعطوه الرزق من بيت المال، وقبلوا شهادته وافتدوه من الأسر، ومن لم يوافقهم على أن القرآن مخلوق وما يتبع ذلك من بدعهم قتلوه، أو حبسوه، أو ضربوه أو منعوه العطاء من بيت المال ولم يولوه ولاية، ولم يقبلوا له شهادة، ولم يفدوه من الكفار، يقولون هذا مشبه؛ هذا مجسم لقوله: إن الله يُرى في الآخرة وأن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن الله استوى على العرش، ونحو ذلك، فدامت هذه المحنة على المسلمين بضع عشرة سنة، في أواخر خلافة المأمون، وخلافة أخيه المعتصم، والواثق بن المعتصم، ثم انكشف عن الأمة في ولاية المتوكل على الله، الذي جعل الله عامة خلفاء بني العباس من ذريته دون الذين أقاموا المحنة لأهل السنة أهـ[1].

٣ - يبتدعون البدعة ويكفرون مخالفها:

أهل الأهواء يخترعون البدعة ويحدثونها من عند أنفسهم، وما أنزل الله بها من سلطان، ثم هم بعد ذلك يكفرون من يخالفهم في بدعتهم.

قال شيخ الإسلام:

«وهذه حال أهل البدع والظلم، كالخوارج وأمثالهم يظلمون الأمة ويعتدون عليهم إذا نازعوهم في بعض مسائل الدين، وكذلك سائر أهل الأهواء فإنهم يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها كما تفعل الرافضة والمعتزلة والجهمية وغيرهم، والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء ابتدعوا بدعة وكفروا من خالفهم فيها واستحلوا منع حقه وعقوبته»[2].

---

(١) الفتاوى ١١/ ٤٧٨ .

(٢) الفتاوى ١٧/ ٣١١، ٣١٢ .

وقال شيخ الإسلام كذلك:

«ومن تدبر هذا رأى أهل البدع من النفاة يعتمدون على مثل هذا، فيبتدعون بدعاً بآرائهم ليس فيها كتاب ولا سنة، ثم يكفِّرون من خالفهم فيما ابتدعوه، وهذا حال من كفَّر الناس بما أثبتوه من الأسماء والصفات التي يسميها هو تركيباً وتجسيماً، وإثباتاً لحلول الصفات والأعراض به، ونحو ذلك من الأقوال التي ابتدعتها الجهمية والمعتزلة، ثم كفَّروا من خالفهم فيها.

والخوارج الذين تأولوا آيات من القرآن وكفَّروا من خالفهم فيها أحسن حالاً من هؤلاء، فإن أولئك علَّقوا الكفر بالكتاب والسنة، لكن غلطوا في فهم النصوص، وهؤلاء علَّقوا الكفر بكلام ما أنزل الله به من سلطان»(١).

فالمعتزلة لما تمكنت من السلطان أيام المأمون وبعده كفرت أئمة الهدى واستحلت دماءهم وحرضت السلطان على قتلهم، حتى إمام السنة أحمد بن حنبل كفروه وحرضوا على قلته، قال الذهبي في ترجمة ابن أبي دؤاد: «الجهمي عدو أحمد بن حنبل، كان داعية إلى خلق القرآن، له كرم وسخاء وأدب وأمر ومكارم»(٢).

وقال: «وقد كان ابن أبي دؤاد يوم المحنة إلبا على الإمام أحمد يقول: يا أمير المؤمنين اقتله هو ضال مضل»(٣).

٤ - استنكار السنة والتضييق على أهلها:

لما استحكمت الأهواء من أهلها واستمرؤوا البدع، وماتت بينهم كثير من السنن، استنكروا السنن وأنكروها. حيث جاءت على خلاف ما هم عليه، وما توارثوه من البدع.

---

(١) درء التعارض ١/ ٢٤٣ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٩ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٠ .

يقول الشاطبي: «يلتزم الناس البدع حتى تكون مخالفتها عندهم هي المنكر وربما يعاقبون من لزم السنة، وقد يستبيحون دمه كبدعة التزام الدعاء بعد الصلوات دائماً على الهيئة الجماعية»[1].

وقد ذكر الشاطبي في ذلك قصة. فلتراجع .

(١٠) الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم واستحلال السيف (منهج وسمة):

من أبرز سمات أهل الأهواء استحلال السيف، أي الخروج على الجماعة، أو الأئمة بالسيف واستحلال ذلك يكون بالفعل والاعتقاد كما عند الخوارج، أو بالاعتقاد كما عند المعتزلة والرافضة وغيرهم. حيث يعتقدون استباحة الخروج، لكنهم قد لا يتمكنون، إما لعدم القدرة، أو لانتظار رجل موهوم كما يعتقد الرافضة.

أخرج اللالكائي بسنده عن أبي قلابة قال: «ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف»[2].

لذلك كان بعض السلف يسمي كل أصحاب الأهواء خوارج، أي أن سمتهم الخروج فكان (أيوب السختياني) يسمي أصحاب الأهواء خوارج ويقول: «إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف»[3].

وروى الصابوني بسنده:« قال عبد الله بن طاهر: يا أحمد إنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلاً، وأنا أبغضهم معرفة، أولاً: إنهم لا يرون للسلطان طاعة.

---

(١) الاعتصام ٢/ ٢٧٥ .

(٢) اللالكائي ١/ ١٣٤، والدارمي ١/ ٤٤، ٤٥، والآجري ١/ ٦٤، والشرح والإبانة ١٣٨، وقال المحقق: وأخرجه الدارمي بإسناد صحيح .

(٣) اللالكائي ١/ ١٤٣، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢١ .

والثاني: أنه ليس للإيمان عندهم قدر، والله لا أستجيز أن أقول إيماني كإيمان يحيى بن يحيى ولا كإيمان أحمد بن حنبل وهم يقولون: إيماننا كإيمان جبريل وميكائيل»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة، وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة، وأما أهل الأهواء، كالمعتزلة فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم، ويجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة: التوحيد...» إلى قوله: «والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي منه قتال الأئمة»[2].

وأخرج الدارمي في سننه:

أخبرنا مسلم بن إبراهيم ثنا وهيب ثنا أيوب عن أبي قلابة قال: ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف. أخبرنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة قال: إن أهل الأهواء أهل الضلالة ولا أرى مصيرهم إلا النار، فجربهم فليس أحد منهم ينتحل قولاً أو قال حديثاًفيتناهى به الأمر دون السيف، وأن النفاق كان ضروباً ثم تلا ﴿**ومنهم من عاهد الله**﴾ ﴿**ومنهم من يلمزك في الصدقات**﴾ ﴿**ومنهم الذين يؤذون النبي**﴾ فاختلف قولهم واجتمعوا في الشك والتكذيب، وأن هؤلاء اختلف قولهم واجتمعوا في السيف، ولا أرى مصيرهم إلا النار، قال حماد ثم قال أيوب عند ذا الحديث أو عند الأول: وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب يعني أبا قلابة»[3].

ومنهج السلف أن الخروج على الأئمة فتنة، لذلك كرهوا القتال في الفتنة مطلقاً ونهوا عنه أشد النهي، أما أهل الأهواء فإنهم يسمون الخروج والقتال في

---

(١) عقيدة السلف ٦٩، ٧٠.
(٢) الفتاوى ٢٨/ ١٢٨، ١٢٩.
(٣) الدارمي ١/ ٤٥، ٤٦.

الفتنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال شيخ الإسلام: «فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستلزماً من الفساد أكثر مما فيه من الصلاح لم يكن مشروعاً، وقد كره أئمة السنة القتال في الفتنة التي يسميها كثير من أهل الأهواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ذلك إذا كان يوجب فتنة هي أعظم فساداً مما في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يُدفع أدنى الفسادين بأعلاهما، بل يدفع أعلاهما باحتمال أدناهما، كما قال النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**»[1].

وبعض أهل الأهواء: كالخوارج والمعتزلة يكفر الولاة بالمعصية ويستحل قتالهم:

قال شيخ الإسلام:

«وقال تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً**﴾ فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً لكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاة الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله وقد تكلم الناس بما يطول ذكره هنا»[2].

حتى صار من أبرز سمات الأهواء ترك الصلاة خلف الفاسق والمفضول، فإن غالب أهل الأهواء لا يجيزون الصلاة خلف الفاسق، وهو مذهب الخوارج والزيدية والرافضة وجمهور المعتزلة[3].

---

(١) الاستقامة ١/ ٣٣٠.
(٢) منهاج السنة ٥/ ١٣١.
(٣) انظر الفصل ٥/ ٢٩.

(١١) الإصرار على بدعهم فلا يهتدون ولا يوفقون للتوبة ولا يقبل منهم عمل (سمة):

من خلال الاستقراء، وما قال أئمة الهدى قديماً وحديثاً نجد أن أهل الأهواء والبدع والافتراق، إذ تأصلت فيهم لا يرجعون عنها إلا إلى شر منها، ولا يهتدون للحق، ولا يوفقون للتوبة (إلا نادراً) والنادر لا حكم له.

وهذا الحكم يشمل أهل الأهواء والبدع المغلظة، كالجهمية، والقدرية، والمعتزلة، والرافضة، وغلاة الصوفية، والخوارج.

قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[سورة: الأنعام، آية: ١١٠]، وهذه الآية نزلت في المشركين والكفار، وفي أهل البدع شعبة من الشرك والكفر. وقال النبي ﷺ في وصف أهل الأهواء: **«تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه»**(١).

وقال ﷺ: **«إن الله احتجز التوبة عن كل صاحب بدعة»**(٢).

أما أصحاب البدع غير المغلّظة، أو من وقعوا من غير هوى ولا رد للحق من أولئك الذين ينتسبون للسنة ويحبونها ولم يكن في صدورهم غل على الذين آمنوا فإنهم قد يوفقون للتوبة والرجوع للسنة، ومن هذا الصنف بعض متكملة الأشاعرة والكلابية، كأبي الحسن الأشعري، وأبي المعالي الجويني، وأبي عبدالله الرازي، والغزالي، فقد اشتهرت توبتهم ولعل ذلك لصدقهم آخر الأمر في

---

(١) انظر تخريج الحديث ص (٥٠) من الحلقة الأولى (المقدمات)، وقد صححه الألباني عند ابن أبي عاصم ١/ ٧، ٨.

(٢) البدع والنهي عنها (٥٥) وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير برقم (١٦٦٣) وعزاه لابن الفيل والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان والضياء المقدسي، وقال السُّيوطي (حديث صحيح) الجامع ١/ ٢٥٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٩٥) ٢/ ٨٨، وفي سلسلة الصحيحة (١٦٢٠).

تحري السنة، وقربهم في أكثر الأصول من أهل السنة، نسأل الله تعالى أن يعفو عنا وعنهم.

فالمتأمل لحال أهل الأهواء أنهم وإن غيروا عقائدهم أو أحدثوا فيها قولاً أو قرروا ما لم يكن عليه سابقهم، فإنهم لا يهتدون للرجوع للسنة، بل يتقلبون في البدعة، ألا ترى أن الخوارج حينما توسعت في الخوض في تفاصيل العقيدة تحولت إلى معتزلة، والرافضة كانوا مجسمة ثم مالوا إلى الاعتزال، والجهمية والمعتزلة ومتكلمة الأشاعرة كلما أسسوا أصولاً انحرفوا عن السنة أكثر، أو تحولوا إلى بدعة أخرى، فإن أهل الأهواء واقعون بين المتناقضات:

فهم بين التشبيه أو التعطيل
وبين التكفير أو الإرجاء
وبين النصب أوالرفض
وبين التأويل أوالتفويض
وبين الجبر أوالقدر
وبين الإفراط أو التفريط

وهذه طائفة من الأحاديث وأقوال السلف في ذلك:

«عن أيوب قال: كان رجل يرى رأياً فرجع عنه فأتيت محمداً فرحاً بذلك أخبره فقلت: أشعرت أن فلاناً ترك رأيه الذي كان يرى؛ فقال: انظروا إلى ما يتحول إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله يمرقون من الإسلام لا يعودون»(١).

ومعناه أن النبي ﷺ في حديث الخوارج ذكر أنهم «**يمرقون من الدين ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه**» أي لا يوفقون للتوبة.

---

(١) البدع والنهي عنها ٥٥ .

وعن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «**أبى الله لصاحب بدعة بتوبة**»(١).

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**إن الله حجز التوبة عن كل صاحب بدعة**»(٢).

وقال علي -رضي الله عنه-: «الهوى يصد عن الحق»(٣).

وقال علي -كرم الله وجهه-: «الهوى عند من خالف السنة حق وإن ضربت فيه عنقه»(٤).

وقال ابن سيرين: «ما أخذ رجل بدعة فراجع سنة»(٥).

وقال عامر بن عبدالله: «ما ابتدع رجل بدعة إلا أتى غداً بما ينكره اليوم»(٦).

وقال ابن عون: «إذا غلب الهوى على القلب استحسن الرجل ما كان يستقبحه»(٧).

وقال الفضيل بن عياض: «لا يزال العبد مستوراً حتى يرى قبيحه حسناً»(٨).

وعن ابن عون، قال: كان محمد يرى أن أسرع الناس ردة أهل الأهواء. وكان يرى أن هذه الآية أنزلت فيهم:

﴿وإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾(٩) [سورة: الأنعام، آية: ٦٨].

وعن أبي عمرو الشيباني قال: «كان يقال: يأبى الله لصاحب بدعة بتوبة

---

(١) البدع والنهي عنها ٥٥ .
(٢) سبق تخريجه قبل قليل.
(٣) الشرح والإبانة ١٢٢ .
(٤) الشرح والإبانة ١٢٢ .
(٥-٨) الشرح والإبانة ١٣١ .
(٩) انظر الإبانة ٢/ ٤٣١ .

وما انتقل صاحب بدعة إلا إلى شر منها»[1].

وعن علي بن أبي طالب قال: «ما كان رجل على رأي من البدعة فتركه إلا إلى ما هو شر منه»[2].

وعن سودة قال: «سمعت عبد الله بن القاسم وهو يقول: ما كان عبد على هوى فتركه إلا إلى ما هو شر منه، قال: فذكرت هذا الحديث لبعض أصحابنا فقال تصديقه في حديث عن النبي ﷺ: **(يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه)**»[3].

وعن عطاء الخراساني قال: «ما يكاد الله أن يأذن لصاحب بدعة بتوبة»[4].

وعن الحسن بن أبي الحسن قال: «أبى الله -تبارك وتعالى- أن يأذن لصاحب هوى بتوبة»[5].

قال رجل لأيوب: «يا أبا بكر إن عمرو بن عبيد قد رجع عن رأيه!!

قال: إنه لم يرجع .

قال: بلى يا أبا بكر إنه قد رجع.

قال أيوب: إنه لم يرجع -ثلاث مرات- أما إنه لم يرجع. أما سمعت إلى قوله: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يرجع السهم إلى فُوقه**»[6].

---

(١) البدع والنهي عنها ٥٤ .
(٢) البدع والنهي عنها ٥٤ .
(٣) البدع والنهي عنها ٥٤ .
(٤) اللالكائي ١/ ١٤١، الآثار ٢٨٣-٢٨٦ .
(٥) اللالكائي ١/ ١٤١، الآثار ٢٨٣-٢٨٦ .
(٦) اللالكائي ١/ ١٤١، الآثار ٢٨٣-٢٨٦ .

وقال شيخ الإسلام:

«ولهذا قال بعض السلف -منهم الثوري- البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها، وهذا معنى ما روي عن طائفة أنهم قالوا: إن الله حجر التوبة على كل صاحب بدعة، بمعنى أنه لا يتوب منها؛ لأنه يحسب أنه على هدى، ولو تاب لتاب الله عليه، كما يتوب على الكافرين، ومن قال: إنه لا يقبل توبة مبتدع مطلقاً فقد غلط غلطاً منكراً، ومن قال: ما أذن الله لصاحب بدعة في توبة، فمعناه ما دام مبتدعاً يراها حسنة لا يتوب منها، فأما إذا أراه الله أنها قبيحة فإنه يتوب منها، كما يرى الكافر أنه على ضلال وإلا فمعلوم أن كثيراً ممن كان على بدعة تبين له ضلالها وتاب الله عليه منها، وهؤلاء لا يحصيهم إلا الله»(١).

عن عبدالله -يعني ابن مسعود قال: «قال: يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا يعني مفصل الأنملة فإن تركتموهم جاؤوا بالطامة الكبرى وإنه لم يكن أهل كتاب قط إلا كان أول ما يتركون السنة وآخر ما يتركون الصلاة ولولا أنهم أهل كتاب لتركوا الصلاة»(٢).

وقال الشاطبي: «فاعلموا أن البدعة لا يقبل معها عبادة من صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا غيرها من القربات، ومجالس صاحبها تنزع منه العصمة ويوكل إلى نفسه، والماشي إليه وموقره معين على هدم الإسلام، فما الظن بصاحبها وهو ملعون على لسان الشريعة، ويزداد من الله بعبادته بعداً؟! وهي مظنة إلقاء العداوة والبغضاء ومانعة من الشفاعة المحمدية، ورافعة للسنن التي تقابلها، وعلى مبتدعها إثم من عمل بها، وليس له من توبة، وتلقى عليه الذلة والغضب من الله، ويبعد عن حوض رسول الله ﷺ، ويخاف

---

(١) الفتاوى ١١/ ٦٨٤، ٦٨٥.

(٢) الإبانة ١/ ٣٣١، ٣٣٢.

عليه أن يكون معدوداً في الكفار الخارجين عن الملة، وسوء الخاتمة عند الخروج من الدنيا، ويسود وجهه في الآخرة يتعذب بعذاب جهنم، وقد تبرأ منه رسول الله ﷺ، وتبرأ المسلمون ويخاف عليه الفتنة في الدنيا زيادة إلى عذاب الآخرة»[1].

وقال: «ومثاله ما يذكر عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنه كان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه. وقال: وأول ما أفارق -غير شاك- أفارق ما يقول المرجئون. وذكر مسلم عن يزيد عن صهيب الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس. قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم. إلخ ... القصة»، قال: «فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد»[2]، يعني أنهم تابوا.

وقال عن سبب عدم قبول توبة المبتدعة:

«وسبب بعده عن التوبة أن الدخول تحت تكاليف الشريعة صعب على النفس؛ لأنه أمر مخالف للهوى، وصاد عن سبيل الشهوات، فيثقل عليها جداً؛ لأن الحق ثقيل، والنفس إنما تنشط بما يوافق هواها لا بما يخالفه، وكل بدعة فللهوى فيها مدخل، لأنها راجعة إلى نظر مخترعها لا إلى نظر الشارع، فعلى حكم التبع لا بحكم الأصل مع ضميمة أُخرى وهي أن المبتدع لا بد له من تعلق بشبهة دليل ينسبها إلى الشارع، ويدعي أن ما ذكره هو مقصود الشارع فصار هواه مقصوداً بدليل شرعي في زعمه. فكيف يمكنه الخروج عن ذلك وداعي الهوى مستمسك بحسن ما يتمسك به؟ وهو الدليل الشرعي في الجملة»[3].

---

(١) الاعتصام ١/ ١٠٦، ١٠٧ . (٢) الاعتصام ١/ ١٤٦، ١٤٧ .

(٣) الاعتصام ١/ ١٢٤ .

«وعن ابن شوذب قال: سمعت عبد الله بن القاسم وهو يقول: ما كان عبد على هوى تركه إلا إلى ما هو شر منه. قال: فذكرت ذلك لبعض أصحابنا فقال: تصديقه في حديث عن النبي ﷺ: «**يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون إليه حتى يرجع السهم على فوقه**».

وعن أيوب قال: كان رجل يرى رأياً فرجع عنه فأتيت محمداً فرحاً بذلك أخبره، فقلت: أشعرت أن فلاناً ترك رأيه الذي كان يرى؟ فقال: انظر إلى ما يتحول؟ إن آخر الحديث أشد عليهم من الأول. أوله: «**يمرقون من الدين**» وآخره «**ثم لا يعودون**» وهو حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «**سيكون من أمتي قوم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حلاقيمهم. يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه. هم شر الخلق والخليقة**». فهذه شهادة الحديث الصحيح لمعنى هذه الآثار. وحاصلها أنه (لا) توبة لصاحب البدعة عن بدعته فإن خرج عنها فإنه يخرج إلى ما هو شر منها، كما في حديث أيوب، أو يكون ممن يظهر الخروج عنها وهو مصر عليها بعد، كقصة غيلان مع عمر ابن عبد العزيز»[1].

(١٢) الإكثار من حشو الكلاميات ومن الكتب والمصنفات والردود (منهج وسمة):

الملاحظ أن أهل الأهواء هم أكثر الناس كلاماً وتأليفاً ورداً منذ وقت مبكر في أول القرن الثاني، والسلف كانوا يكرهون ذلك إلا للآثار والسنن، لذلك قلت مصنفاتهم إلا للضرورة.

قال النيسابوري: «سمعت أبا عبد الله يقول: لا يعجبني شيء من وضع الكتب، ومن وضع شيئاً من الكتب فهو مبتدع»[2].

---

(١) الاعتصام ١/ ١٢٣ .

(٢) مسائل الإمام أحمد للنيسابوري ٢/ ١٦٤ .

وقال: «سألت أبا عبد الله عن كتب أبي ثور. فقال: كل كتاب ابتدع فهو بدعة»[1].

قلت: هذا محمول على غير الضرورة وغير كتب الحديث والآثار، فإن الإمام أحمد نفسه كتب المسند والرد على الجهمية، وكتب عنه تلاميذه، وكان آخر ما كان عليه الأمر أن أذن السلف بكتابة الحديث والآثار والرد على أهل الأهواء ولا يتجاوزون ذلك إلا بقدر الحاجة.

(١٣) قلة البركة وقلة الفائدة في مصنفاتهم وعلمهم (سمة):

من سمات أهل الكلام والأهواء، أن مؤلفاتهم ومصنفاتهم في مقولاتهم لا يفيد منها إلا أمثالهم، مرضى القلوب أو نحوهم إلا ما ألفوه فيما وافق السنة فقد يفاد منه، لكنه لا يكون بمنزلة مؤلفات أئمة السنة.

أما مصنفات أئمة السنة فهي أعظم نفعاً وأعم فائدة.

قارن مثلاً ما كتبه الشافعي، ومالك، وأحمد، والبخاري، والدارمي، والبغوي، وابن بطة، واللالكائي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن باز، والألباني.

بما كتبه المعاصرون لهم؛ ممن ليس على السنة.

(١٤) حرصهم على نشر بدعهم وقوة تأثيرهم فيمن يخالطهم (منهج وسمة):

من الملفت للنظر أن أهل البدع لديهم جلد وقوة وحرص وتفان عجيب في الدعوة إلى بدعهم وأهوائهم، وذلك -والله أعلم- من الفتنة وتزيين الشياطين لأعمالهم، وأزّهم إلى الضلالة أزّا. كما يدفعهم لذلك شعورهم بالهوان والغربة، ولذلك نجد أن لهم فيمن يخالطهم تأثيراً قوياً قل أن يسلم

---

(١) مسائل الإمام أحمد للنيسابوري ٢/ ١٦٥ .

منه جليسهم. لذلك حَذَّر السلف من مجالسة أهل الأهواء، وكانوا يهجرون من يجالسهم ويتلقى عنهم، وقد وقعت حالات كثيرة قديماً وحديثاً، من ذلك:

روى اللالكائي قال: «كان عمران بن حطان من أهل السنة، فقدم غلام من أهل عمان مثل البغل فقلبه في مقعد»[1] وصار حطان من رؤوس الخوارج، فتأمل عافانا الله وإياك.

وروى كذلك قال:

قال مغيرة: «قال محمد بن السائب: قوموا بنا إلى المرجئة نسمع كلامهم، قال: فما رجع حتى علقه»[2] يعني الإرجاء.

روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن عبد الواحد بن زيد قال: «قال لي أيوب: قل للثوري لا تصحب عمرو بن عبيد. قال: فقلت ذلك له، قال: إني أجد عنده أشياء لا أجدها عند غيره. فقلت ذلك لأيوب فقال لي أيوب: من تلك الأشياء أخاف عليه»[3].

فقد يكون عند أهل الأهواء المنطق الحسن، والإغراب في الرأي، والتشويق في الأسلوب والمقولة الملفتة، والقول الذي يستهوي السامع ويلبس عليه، ومعالجة الأمور التي تهم حياة الناس أو تمس مصالحهم أو نحو ذلك فيكون ذلك فتنة لهم «فتأمل الحكاية هنا»، قوله: «إني أجد أشياء لا أجدها عند غيره».

عن بعض أصحاب الشافعي، قال: «سمعت الشافعي يقول: كلمتني أم بعض أصحاب الكلام على أن أكلم ابنها ليكف عن الخوض في الكلام، قال:

---

(١) الإبانة ٢/ ٤٧١ .

(٢) الإبانة ٢/ ٤٦٢ .

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣٣ .

فكلمته ليكف عن الكلام فدعاني إلى الكلام»[1].

وعن حسن بن عبد العزيز الجروي، قال: «كان الشافعي ينهى النهي الشديد عن الكلام، في الأهواء ويقول: أحدهم إذا خالفه صاحبه قال: كفرت، إنما يقال فيه أخطأت»[2].

ولقد تأثر الحسن البصري -وهو من هو في إمامته وجلالته- بمعبد الجهني رغم أنه كان يعيبه.

«قال يونس: أدركت الحسن يعيب قول معبد، ثم تلطف له معبد فألقى في نفسه ما ألقى»[3].

وقد نسب إلى الحسن القول بشيء من القدر لكنه رجع عنه على الصحيح والله أعلم.

قال شيخ الإسلام:

«وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه، قيل لسفيان بن عيينة: ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم، فقال: أنسيت قوله تعالى: ﴿**وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم**﴾ أو نحواً من هذا الكلام»[4] أهـ.

وقال شيخ الإسلام أيضاً:

«وفي الحكاية المعروفة أن عمرو بن عبيد -وهو رأس المعتزلة- مر بمن كان يناجي سفيان الثوري ولم يعلم أنه سفيان فقال عمرو لذلك الرجل: من هذا؟ فقال: هذا سفيان الثوري! وقال: من أهل الكوفة، قال: لو علمت بذلك لدعوته إلى رأيي ولكن ظننته من هؤلاء المدنيين الذين يجيئونك من

---

(١) الإبانة ٢/ ٥٣٥ .
(٢) الإبانة ٢/ ٥٣٥ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٧ .
(٤) الفتاوى ١٠/ ١٧٠ .

فوق»[1] يعني لا يقبلون منه.

وهذا فيه دلالة على حرص أهل الأهواء على جذب الناس إلى أهوائهم ليكثروا سوادهم ويزيلوا غربتهم وهوانهم الذي يشعرون به، خاصة في ذلك الوقت.

لذلك كانوا يبثون الدعاة إلى مذاهبهم في كل مكان ويتجشّمون الصعاب، فهذا واصل بن عطاء يرسل بعوثه إلى الأقاليم لينشروا مذهب المعتزلة، فقد بعث كّلاً من[2]:

١ - عبد الله بن الحارث إلى المغرب فأجابه خلق كثير.
٢ - حفص بن سالم إلى خراسان وناظر جهماً فقطعه.
٣ - القاسم بن السعدي إلى اليمن.
٤ - أيوب إلى الجزيرة.
٥ - الحسن بن ذكوان إلى الكوفة.
٦ - وعثمان الطويل إلى أرمينية.

وكان لهؤلاء الدعاة الأثر الكبير في نشر مذهب المعتزلة في شرق البلاد الإسلامية وغربها وجنوبها ووسطها.

(١٥) التعالم والغرور (سمة):

وأعني بالتعالم أن أهل الأهواء يدَّعون العلم والمعرفة والفقه في الدين، وهم دون ذلك، والأصل في أهل العلم التواضع، وعدم التعالي وعدم الغرور، والأدب والسمت واحترام أهل العلم وطلابه، والخضوع للعلماء والشيوخ، واحترام الأئمة.

---

(١) الفتاوى ٢٠/ ١٠٣ .

(٢) المنية والأمل ٣٢ وما بعدها، وانظر مذاهب الإسلاميين لبدوي ١/ ٨١ .

لكن السمة الغالبة على أهل الأهواء التعالي والغرور والكبرياء، وعدم احترام العلماء والأئمة، إلا إذا كانوا من شيوخهم، ولو لم يكن لديهم علم فيزين لهم الشيطان سوء عملهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، كما قال تعالى: ﴿أَفَمن كَان عَلَى بَيِّنَةٍ مّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْواءَهُم﴾ [سورة: محمد، آية: ١٤].

وينطبق على أكثرهم قوله تعالى: ﴿قل هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [سورة: الكهف، آية: ١٠٣، ١٠٤].

وعن يحيى بن يعمر قال: كان رجل من جهينة فيه زهو، وكان يتوثب على جيرانه، ثم إنه قرأ القرآن، وفرض الفرائض، وقص على الناس، ثم إنه صار أمره أنه زعَم أن العمل أنف؛ من شاء عمل خيراً ومن شاء عمل شراً»[1]. وكأنه يقصد (معبد الجهني) والله أعلم.

قال عبد الله بن أحمد: حدثني أبو معمر نا سفيان بن عيينة قال: قال عمرو بن عبيد: أليس قد نهاك أبوك أن تجالسني؟ قلت: بلى[2].

وقال: حدثني نصر بن علي نا الأصمعي نا أبو عوانة قال: ما رأيت عمرو ابن عبيد ولا جالسته قط إلا مرة واحدة، قال: فتكلم وطول ثم قال حين فرغ: لو نزل من السماء ملك ما زادكم على هذا[3].

إذا تأملنا أهل الأهواء نجد أنهم قد يجزمون أحياناً ببعض مقولاتهم، ولكن جزم الغرور والكبرياء لا جزم اليقين والتسليم الذي عليه أهل الإيمان والسنة. لذلك فهم مضطربون متناقضون متكلفون في تقرير أصولهم، كالذي

---

(١) الإيمان لابن منده ١/ ١٤٣ .

(٢) السنة ٢/ ٤٣٦، رجاله ثقات .

(٣) السنة لعبدالله ٢/ ٤٣٦، إسناده حسن، وانظر ص ٤٣٧، ٤٣٨ المصدر نفسه.

يكذب فيعوض ذلك بكثرة الأيمان وتكلف الحجج والبراهين، وقد يشهد الله على ما في قلبه، وهذه من خصال المنافقين.

قال شيخ الإسلام:

«وكثيراً ما يرى الإنسان صورة اعتقاده، فيكون ما يحصل له بمكاشفته ومشاهدته هو ما اعتقده من الضلال، حتى أن النصراني يرى في كشفه التثليث الذي اعتقده، وليس أحد من الخلق معصوماً أن يُقرَّ على خطأ إلا الأنبياء، فمن أين يحصل لغير الأنبياء نور إلهي تدرك به حقائق الغيب وينكشف له أسرار هذه الأمور على ما هي عليه، بحيث يصير بنفسه مدركاً لصفات الرب وملائكته، وما أعده الله في الجنة والنار لأوليائه وأعدائه؟!

وهذا الكلام أصله من مادة المتفلسفة والقرامطة الباطنية، الذين يجعلون النبوة فيضاً يفيض من العقل الفعال على نفس النبي، ويجعلون ما يقع في نفسه من الصور هي ملائكة الله، وما يسمعه في نفسه من الأصوات هو كلام الله، ولهذا يجعلون النبوة مكتسبة، فإذا استعد الإنسان بالرياضة والتصفية فاض عليه ما فاض على نفوس الأنبياء»[1]، والفلاسفة من أعظم أهل الضلال تيهاً وغروراً.

ومن غرورهم وخذلانهم ظنهم أنهم ينصرون الإسلام:

قال شيخ الإسلام: «وكثير ممن تكلم بالألفاظ المجملة المبتدعة كلفظ الجسم والجوهر والعرض وحلول الحوادث ونحو ذلك كانوا يظنون أنهم ينصرون الإسلام بهذه الطريقة وأنهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسوله، فوقع منهم من الخطأ والضلال ما أوجب ذلك، وهذه حال أهل البدع كالخوارج وأمثالهم، فإن البدعة لا تكون حقاً محضاً موافقاً للسنة، إذ لو كانت

---

(١) درء التعارض ٥/ ٣٥٣.

كذلك لم تخف على الناس ولكن تشتمل على حق وباطل فيكون صاحبها قد لَبَسَ الحق بالباطل: إما مخطئاً غالطاً وإما متعمداً لنفاق فيه وإلحاد»[1].

(١٦) وقوعهم في الإثم (سمة):

قال هرم بن حيان: «صاحب الكلام على إحدى المنزلتين إن قصر فيه خصم وإن أغرق فيه أثم»[2].

وكان الفضيل بن عياض يقول: «لا تجادلوا أهل الخصومات فإنهم يخوضون في آيات الله»[3].

والخوض في آيات الله تعالى من أعظم الآثام. وهو ما تقوم عليه أصول أهل الأهواء، ولو قصَّروا فيه انهدمت أصولهم. فهم متقلبون بين الإثم أو الانقطاع.

(١٧) وقوعهم في التقصير أو التعبد غير المشروع والورع الكاذب(بين الغلو والتقصير) (منهج وسمة):

من سمات أهل الأهواء أنهم لا يوفقون إلى الوسطية فهم بين الغلو والتقصير، فمنهم غلاة، ومنهم مقصرون، ومنهم من يجمع بين الغلو من جهة، والتقصير من جهة أخرى.

قال شيخ الإسلام: «لكن يقع الغلط في الورع من ثلاث جهات: أحدها اعتقاد كثير من الناس أنه من باب الترك، فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب، وهذا يبتلى به كثير من المتدينة المتورعة، ترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة، وعن الدرهم فيه شبهة: لكونه من مال ظالم أو معاملة فاسدة ويتورع عن الركون إلى الظلمة من أجل البدع في الدين وذوي الفجور

---

(١) درء التعارض ٢/ ١٠٤ .

(٢) اللالكائي ١/ ١٢٩ .

(٣) اللالكائي ١/ ١٢٩ .

في الدنيا، ومع هذا يترك أموراً واجبة عليه، إما عيناً وإما كفاية، وقد تعينت عليه من صلة رحم؛ وحق جار؛ وصاحب ويتيم وابن سبيل؛ وحق مسلم وذوي سلطان؛ وذوي علم؛ وعن أمر بمعروف ونهي عن منكر، وعن الجهاد في سبيل الله إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم مما أوجب عليه، أو يفعل ذلك لا على وجه العبادة لله تعالى، بل من جهة التكليف ونحو ذلك. وهذا الورع قد يوقع صاحبه في البدع الكبار، فإن ورع الخوارج والروافضة والمعتزلة ونحوهم من هذا الجنس، وتورعوا عن الظلم وعن ما اعتقدوه ظلماً من مخالطة الظلم في زعمهم، حتى تركوا الواجبات الكبار، من جمعة الجماعة والحج والجهاد؛ ونصيحة المسلمين والرحمة لهم، وأهل هذا الورع ممن أنكر عليهم الأئمة، كالأئمة الأربعة وصار حالهم يذكر في اعتقاد أهل السنة والجماعة»[1].

وقد وصف النبي ﷺ عبادة الخوارج فقال: «**تحقرون صلاتكم عند صلاتهم**»[2].

روي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه كان يقول: «إن أشد الناس عبادة مفتون، يعني صاحب بدعة».

وكذلك متعبدة المعتزلة وزهادهم، كعمرو بن عبيد، وواصل ومتعبدة الصوفية، والرافضة. كانوا على درجة عالية من التعبد والزهد لكنهم دعاة ضلالة نسأل الله السلامة.

ورغم أنه يوجد في أهل الأهواء عبَّاد على غير طريقة مشروعة، فإن أهل الفسق والمجون فيهم كثير، قال الذهبي في الجاحظ، وهو من رؤوس المعتزلة:

---

(١) الفتاوى ٢٠/ ١٣٩، ١٤٠ .

(٢) الحديث انظر تخريجه ص (١١٩).

«قلت: كان ماجناً قليل الدين له نوادر» قال ثعلب: ما هو بثقة[1].

ولما استأذن عليه ابن أبي داود قال: «من أنت فقلت: رجل من أصحاب الحديث، فقال: أو ما علمت أني لا أقول بالحشوية، فقلت: إني ابن أبي داود»[2] إلخ القصة.

قال الذهبي: «ولا هو بمهتم في الحديث، بل في النفس من حكاياته ولهجته فربما جازف، وتلطخه بغير بدعة واضح، لكنه اخباري علامة، صاحب فنون وأدب باهر وذكاء بيِّن عفا الله عنه»[3].

وهم كذلك أكثر استحلالاً للمحرمات لفساد أصولهم:

قال الشاطبي: في تساهل الفلاسفة واستحلالهم المسكرات: «وأيضاً فإن بعض الفلاسفة الإسلاميين تأول فيها غير هذا، وأنه إنما يشربها للنفع لا للهو، وعاهد الله على ذلك، فكأنها عندهم من الأدوية أو غذاء صالح يصلح لحفظ الصحة، ويحكى هذا العهد عن ابن سينا. ورأيت في بعض كلام الناس ممن عرف عنه أنه كان يستعين في سهره للعلم والتصنيف والنظر بالخمر، فإذا رأى من نفسه كسلاً أو فترة شرب منها قدر ما ينشطه وينفي عنه الكسل، بل ذكروا فيها أن لها حرارة خاصة تفعل أفعالاً كثيرة تطيب النفس، وتصير الإنسان محباً للحكمة، وتجعله حسن الحركة، والذهن، والمعرفة، فإذا استعملها على الاعتدال عرف الأشياء، وفهمها، وتذكرها بعد النسيان، فلهذا -والله أعلم- كان ابن سينا لا يترك استعمالها -على ما ذكر عنه- وهو كله ضلال مبين، عياذاً بالله من ذلك»[4].

وذلك صنف العلماء المتهاون في صلاة الجماعة من أهل الأهواء؛ لأنها من

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٧ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٠ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٠ .
(٤) الاعتصام ٢/ ٤٦، ٤٧ .

سماتهم ومن علامات النفاق.

يقول البربهاري: «وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في جماعة في السلطان وغيره، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى، وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة، وإن كان مع السلطان فاعلم أنه صاحب هوى»[1].

ومن ذلك أن أهل الأهواء أقل حمداً لله تعالى وشكراً:

يقول شيخ الإسلام: «اعلم أن أهل البدع القدرية من الجهمية المجبرة والقدرية النافية لا يحمدون الله ولا يشكرونه، كما أنهم لا يعبدونه، وأما أهل الإلحاد من المتفلسفة والباطنية فهم أبعد عن حمده وشكره. وذلك أن المجبرة حقيقة قولهم أنه ليس برحيم ولا مُنعم، بل ولا إله يستحق أن يعبد ويُحب، بل صدور الإحسان عنه كصدور الإساءة. وإنما هو يفعل بمحض مشيئة ترجِّح الشيء على مثله لا لمرجِّح، وكل الممكنات عندهم متماثلة، فلا فرق بين أن يريد رحمة الخلق ونفعهم والإحسان إليهم، أو يريد فسادهم وهلاكهم وإضرارهم، يقولون: هذا كله عندهم سواء»[2].

(١٨) استحواذ الشياطين والجن على طوائف منهم (سمة):

أكثرأ هل الأهواء تستحوذ عليهم الشياطين، وتؤزهم إلى البدعة والمنكر أزّاً، وتزين لهم سوء عقائدهم وأعمالهم قال تعالى: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين**﴾ [٣٦ الزخرف] . وقال : ﴿**وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم**﴾ [١٢١ الأنعام].

«وكثيراً ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به إذا كان

---

(١) شرح السنة للبربهاري ٥٢ .

(٢) جامع الرسائل (المجموع الأول) ١/ ١٠٣ .

ميتاً، وكذلك قد يكون حياً ولا يشعر بالذي ناداه، بل يتصور الشيطان بصورته، فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه، وإنما هو الشيطان، وهذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون الظن به من الأموات والأحياء، كالنصارى يستغيثون بجرس وغيره من قداديسهم، ويقع لأهل الشرك والضلال من المنتسبين إلى الإسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين، يتصور لهم الشيطان في صورة ذلك المستغاث به وهو لا يشعر. وأعرف عدداً كثيراً وقع لهم في عدة أشخاص يقول لي كل من الأشخاص: إني لم أعرف أن هذا استغاث بي، والمستغيث قد رأى ذلك الذي هو على صورة هذا وما اعتقد أنه إلا هذا، وذكر لي غير واحد أنهم استغاثوا بي، كل يذكر قصة غير قصة صاحبه، فأخبرت كلا أني لم أجب أحداً منهم ولا علمت باستغاثته، قيل: هذا يكون ملكاً، فقلت: الملك لا يغيث المشرك، إنما هو شيطان أراد أن يضله، وكذلك يتصور بصورته بعرفات فيظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات، وكثر منهم حملة الشيطان إلى عرفات أو غيرها من الحرم، فيجاوز الميقات بلا إحرام ولا تلبية، ولا يطوف بالبيت ولا بالصفا والمروة، وفيهم من لا يعبر قلة، وفيهم من يقف بعرفات ولا يرمي الجمار، إلى أمثال ذلك من الأمور التي يضلُّهم بها الشيطان حيث فعلوا ما هو منهي عنه في الشرع إما محرم وإما مكروه ليس بواجب ولا مستحب، وقد زين لهم الشيطان أن هذا من كرامات الصالحين، وهو من تلبيس الشيطان»[1].

وقال: «والمقصود أن أهل الضلال والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعي ولهم أحياناً مكاشفات ولهم تأثيرات يأوون كثيراً إلى مواضع الشياطين التي نُهي عن الصلاة فيها؛ لأن الشياطين تتنزل عليهم بها وتخاطبهم الشياطين ببعض الأمور كما تخاطب الكهان، وكما كانت تدخل في

---

(١) الفتاوى ١٩/ ٤٧، ٤٨.

الأصنام وتكلم عابدي الأصنام وتعينهم في بعض المطالب كما تعين السحرة، وكما تعين عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب إذا عبدوها بالعبادات التي يظنونها أنها تناسب، من تسبيح لها ولباس وبخور وغير ذلك، فإنه تتنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكوكب، وقد تقضي بعض حوائجهم»[1].

وهذا في عموم أهل الأهواء على تفاوت بينهم؛ لأنهم عدلوا عن الكتاب والسنة ونهج السلف فيسلط الله عليهم الشياطين والجن فيوحون إليهم زخرف القول غروراً، وهو في الصوفية والرافضة أكثر.

(١٩) الجرأة على الله ورسوله وعلى الدين (منهج وسمة):

ما أجرأ أهل الأهواء على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى الدين! فقد خاضوا في علم الله تعالى وقدره ومشيئته وحكمه اعتراضاً وإنكاراً وتشكيكاً كما فعلت (القدرية).

وخاضوا في أسماء الله تعالى وصفاته وذاته وأفعاله ولم يقدروا الله حق قدره **﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾** سبحانه وتعالى عما يصفون، كما فعلت (الجهمية والمعتزلة وأهل الكلام).

وافتروا على الرسول ﷺ وآله وأزواجه وصحابته كما فعلت (الرافضة والخوارج) فلم يسلموا لله تعالى ولا لرسوله ﷺ حق التسليم والإذعان (وهكذا جميع أهل الأهواء).

أخرج الهروي في ذم الكلام: عن مالك قال: «إياكم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم

---

(١) الفتاوى ١٩/ ٤١ .

بإحسان»[1].

(٢٠) من سمات أهل الأهواء الذلة والصغار (سمة):

روى أبو نعيم بسنده عن سفيان بن عيينة: «ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه، قال: وهي في كتاب الله، قالوا وأين هي من كتاب الله؟ قال: أما سمعتم قوله تعالى: ﴿**إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة**﴾ قالوا: يا أبا محمد هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلا اتلوا ما بعدها ﴿**وكذلك نجزي المفترين**﴾ فهي لكل مفترٍ ومبتدع إلى يوم القيامة»[2].

أقول: هذا هو الأصل إلى أن تقوم الساعة بإذن الله، فالذلة ذلتان ذلة الوجوه وهي ملازمة لأهل البدع والأهواء في كل زمان، وذلة الحال وهي الاستضعاف فهي غالباً فيهم، ومع ذلك فقد تمر على السنة وأهلها أزمان غربة يستضعفون فيها في بعض البلاد فتنقلب الحال كما هو واقع الآن في بعض ديار المسلمين نسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويقمع أهل البدع والشرك والفساد.

وعلى أي حال فإن أهل السنة لا يمكن أن تصيبهم الذلة، وإن استضعفوا أحياناً.

قال الشاطبي: «وجاء عن سفيان بن عيينة وأبي قلابة وغيرهما أنهم قالوا: كل صاحب بدعة أو فرية ذليل. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿**إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي**

---

(١) صون المنطق ٥٦، ٥٧ .

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٨٠ .

المفترين﴾. وخرَّج ابن وهب عن مجاهد في قول الله: **﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾** يقول: ما قدموا من خير، وآثارهم التي أورثوا الناس بعدهم من الضلالة. وخرج أيضاً عن ابن عون عن محمد بن سيرين أنه قال: إني أرى أسرع الناس ردةً، أصحاب الأهواء. قال ابن عون: وكان ابن سيرين يرى أن هذه الآية في أصحاب الأهواء: **﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره﴾**. الآية.

وذكر الآجري عن أبي الجوزاء أنه ذكر أصحاب الأهواء فقال: والذي نفس أبي الجوزاء بيده لأن تمتلىء داري قردة وخنازير أحب إليَّ من أن يجاورني رجل منهم. ولقد دخلوا في هذه الآية: **﴿ها أنتم هؤلاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله﴾** -إلى قوله- **﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾**. والآيات المصرحة المشيرة إلى ذمهم والنهي عن ملابسة أحوالهم كثيرة»[1].

٢١ - أصولهم كلها مخترعة مبتدعة ليس لهم فيها قدوة من أعلام الهدى الأئمة الأعلام (منهج):

كل أصول أهل الأهواء والافتراق والبدع التي خرجوا بها عن السنة محدثة مبتدعة، ليس لهم فيها مستند شرعي ولا قدوة من الأئمة، وهذا مما يفترض أن يكون بدهياً، لأنهم لوكان لهم في ذلك دليل أو قدوة معتبرة شرعاً لكانوا على حق، لكنهم ليسوا كذلك.

إنما قد يلبسون على الناس بشيء من ذلك فيتعلقون بالمتشابهات والمشتبهات وزلات العلماء فيهلكون بها ويُهلكون.

---

(١) الاعتصام ١/ ٦٧ .

(٢٢) زعمهم أنهم يعظمون الله ومبالغتهم في ذلك (منهج وسمة):

قال البربهاري: «وإذا سمعت الرجل يقول: إنا نحن نعظم الله - إذا سَمِعَ أثر رسول الله ﷺ - فاعلم أنه جهمي يريد أن يرد أثر رسول الله ﷺ إذ قال: إنا نحن نعظم الله أن ينزل من موضع إلى موضع، فقد زعم أنه أعلم بالله من غيره، فاحذر هؤلاء فإن جمهور الناس من السوقة وغيرهم على هذه الحال، وحذر الناس منهم، وإذا سألك الرجل مسألة في هذا الباب وهو مسترشد فكلمه وأرشده، وإذا جاء يناظرك فاحذره، فإن في المناظرة المراء والجدال والمغالبة والخصومة والغضب، وقد نهيت عن جميع هذا، وهو يزيل عن طريق الحق، ولم يبلغنا عن أحد من فقهائنا أنه جادل أو ناظر أو خاصم»[1].

فالخوارج تزعم أنها تعظم حدود الله وحرماته، لكنها تشددت وتنطعت وخرجت عن حد الشرع في ذلك.

والرافضة تزعم أنها تعظم آل بيت رسول الله ﷺ، لكنها غلت في ذلك وخرجت عن حد الشرع.

والقدرية تزعم أنها تعظم الله وتنزهه عن فعل الشر وتقدير الضر، لكنها غلت في ذلك حتى طعنت في علم الله تعالى وإرادته وقدرته وحكمته.

والجهمية والمعتزلة وأهل الكلام زعموا أنهم ينزهون الله عن التشبيه، لكنهم غلوا في ذلك ووقعوا في التعطيل، والتأويل، وإنكار صفات الله وأفعاله.

والمشبهة زعمت أنها فرت من التعطيل لكنها بالغت في الإثبات بما لم يرد به الشرع فوقعت في التمثيل وهكذا بقية الفرق.

---

(١) شرح السنة للبربهاري ٥٦ .

(٢٣) تـرك ما أمـر الله به والإخـلال بـالأصول المأمـور بها (منهج وسمة):

فأهل الأهـواء كما ابتدعـوا ما لم يشرعـه الله ولم يأذن به فكـذلك بالمقـابل، تركوا ما شرعه الله وأمر به من أصول الدين وأحكامه.

قال شيخ الإسلام: «ثم إن أهل المعـاصي ذنوبهم فعل بعض ما نهوا عنه: من سرقة أو زنا أو شرب خمر، أو أكل مال بالباطل. وأهل البدع ذنوبهم ترك ما أمروا بـه من اتباع السنـة وجماعة المؤمنين، فإن الخوارج أصل بـدعتهم أنهم لا يـرون طاعـة الرسـول وأتباعـه فيما خـالف ظاهـر القرآن عنـدهم، وهذا تـرك واجب. وكذلك القدرية، لا يؤمنون بعلم الله تعالى القديم، ومشيئته الشاملة، وقـدرته الكـاملـة وهذا تـرك واجب. وكـذلك الجبريـة، لا تثبت قدرة العبـد ومشيئتـه، وقد يـدفعـون الأمر بـالقـدر، وهذا تـرك واجب، وكـذلك معتدلـة المرجئة، مع أن بـدعهم من بدع الفقهـاء ليس فيها كفر بـلا خلاف عنـد أحد الأئمـة، ومن أدخلهم من أصحابنـا في البدع التي حكى فيهـا التكفير ونصره فقـد غلط في ذلك، وإنما كـان لأنهم لا يـرون إدخـال الأعمال أو الأقـوال في الإيمان، وهـذا تـرك واجب، وأمـا غـاليـة المرجئـة الـذين يكفـرون بـالعقـاب ويزعمـون أن النصوص خـوفت بها لا حقيقة له، فهـذا القول عظيم وهـو ترك واجب، وكذلـك الوعيديـة، لا يرون اعتقـاد خروج أهل الكبـائر من النار ولا قبول الشفاعـة فيهم، وهذا ترك واجب، فإن قيل قـد يضمون إلى ذلك اعتقاداً محرمـاً: من تكفير وتفسيق وتخليـد. قيل: هـم في ذلك من أهل السنـة بمنـزلـة الكفـار مع المؤمنين، فنفس ترك الإيمان بما دل عليـه الكتاب والسنـة والإجماع ضلالة وإن لم يكن معـه اعتقاد وجودي، فإذا انضم إليه اجتمـع الأمران، ولو كان معهم أصل من السنة لم يكن معه اعتقاد وجودي، فإذا انضم إليه اجتمع الأمران، ولو كان معهم أصل من السنة لما وقعوا في البدعة»[1].

---

(١) الفتاوى ٢٠/ ١٠٤، ١٠٥ .

(٢٤) تقرير قواعد فاسدة والقول بلوازمها (منهج):

أهل الأهواء يقعدون ويخترعون قواعد وضعية مظنونة أو وهمية، ثم يقولون بلوازمها ويعتقدونها ويزعمون أن هذا من قطعيات العقل أو لوازمه.

قال ابن القيم: «والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هي أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية ونحن نقول: إن إثبات هذا كله غير لازم، فإن الجهة غير المكان»(١).

وقال شيخ الإسلام عن الجهم بن صفوان ومقولاته: «ثم إن جهماً قال: إذا كان الأمر كذلك -امتناع دوام الحوادث- لزم فناء الجنة والنار، وأنه يعدم كل ما سوى الله»(٢).

وقال: «ثم إن هؤلاء الجهمية أصحاب هذا الأصل المبتدع احتاجوا أن يلتزموا طرد هذا الأصل فقالوا: إن الرب لا تقوم به الصفات ولا الأفعال، فإنها أعراض وحوادث، وهذه لا تقوم إلا بجسم والأجسام محدثة، فيلزم أن لا يقوم بالرب علم ولا قدرة ولا كلام ولا مشيئة ولا رحمة ولا رضا ولا غضب ولا غير ذلك من الصفات، بل جميع ما يوصف به من ذلك فإنما هو مخلوق منفصل عنه»(٣). تعالى الله عما يقولون.

ومن السمات التي يتميّز بها منهجهم الاسترسال مع العقليات والظنون والأوهام إلى حد يوصلهم إلى الاضطراب والتناقض والحيرة، كما فعل الرازي والآمدي والغزالي.

وبعضهم يتمادى في العقليات حتى يجعلها أصل الاعتقاد عنده، فإذا جاء النص رده أو أوله.

---

(١) الصواعق المرسلة ٢/ ٤٠٧.

(٢) منهاج ١/ ٣١٠.

(٣) منهاج ١/ ٣١١.

وللمتكلمين في تأويلهم للصفات قاعدة فاسدة وهي قولهم:

«لا يعرف في الشاهد متصفاً بالصفات إلا ما كان جسماً، والله ليس بجسم».

وقولهم: «الظاهر المتبادر من نصوص الصفات التشبيه والتجسيم».
فالجهمية والمعتزلة نفت الصفات بناء على هذا القول الفاسد.
والأشاعرة والماتريدية ونحوهم أوّلوا الصفات بناء على متابعة أولئك.
وهذا من نوع قياس الغائب على الشاهد كما سبق[1].

(٢٥) القعود عن الجهاد وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (منهج وسمة):

أهل السنة والجماعة هم أهل الجهاد والثغور والمرابطة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما أهل الأهواء فليس من أصولهم ولا أعمالهم شيء من ذلك، إنما جهودهم مسلطة على المسلمين، وأغلبهم من القاعدين عن الجهاد والأمر والنهي، لأن أصولهم في ذلك فاسدة، ففيهم شبه بالمنافقين.

يقول شيخ الإسلام: «ولما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من الابتلاء والمحن ما يعرض به المرء للفتنة صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿**ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا**﴾ وقد ذكر في التفسير أنها نزلت في الحر بن قيس لما أمره النبي ﷺ بالتجهيز لغزو الروم، وأظنه قال: هل لك في نساء بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله إني رجل لا أصبر عن النساء، وإني أخاف الفتنة بنساء بني الأصفر فائذن لي ولا تفتني»[2].

---

(١) انظر ص (٤٦) من هذا البحث. (٢) الفتاوى ٢٨/ ١٦٥، ١٦٦.

(٢٦) تقربهم للملوك والسلاطين (سمة):

منهج السلف الابتعاد عن مجاملة السلاطين ومجالستهم إلا لأداء النصيحة والأمر والنهي بخلاف أهل الأهواء فإن من سماتهم منادمة الولاة والتصنيف للملوك والساسة وأهل السيف والمال والوزراء من ذلك[١]:

١ - الكرخي أبو الحسين الحنفي كتب لبعض الأمراء كتاب (تحليل النبيذ).
٢ - والجاحظ كتب للسلاطين كتباً عدة.
٣ - والرازي فخر الدين كتب (الملخَّص في الفلسفة) لوزير وقته و(أحكام النجوم) لملك وقته، وكتاب (السحر وعبادة الأوثان) لأم الملك وهو كتاب (السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم).
٦ - والسهروردي المقتول كتب (الألواح العمادية) لعماد الدين قرة أرسلان.
٧ - وصاحب دعوة البلاغ الأكبر والناموس الأعظم لعله أبو القاسم القيرواني كتبه لسلاطين الباطنية.

(٢٧) يكتبون ما لهم ويعلنونه ويكتمون ما عليهم ويتجاهلونه (منهج وسمة):

قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم»[٢].

(٢٨) تدرجهم في الباطل (منهج وسمة):

قال شيخ الإسلام في معرض كلامه عن أن الجهمية لم تفصح عن حقيقة تعطيلها بأسلوب يصادم عقائد العامة، بل يتكلمون بما فيه شبهة، قال:

---

(١) انظر الاستقامة ١/ ٤٣-٤٧ .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٧٣، ٧٤ .

«فهذا شأن كل من أراد أن يظهر خلاف ما عليه أمة من الأمم من الحق، إنما يأتيهم بالأسهل الأقرب لموافقتهم، فإن شياطين الإنس والجن لا يأتون ابتداء ينقضون الأصول العظيمة الظاهرة، فإنهم لا يتمكنون، ومما عليه العلماء أن مبدأ الرفض كان من الزنادقة المنافقين، ومبدأ التجهم كان من الزنادقة المنافقين بخلاف رأي الخوارج والقدرية، فإنه إنما كان من قوم فيهم إيمان لكن جهلوا وضلوا ...» وذكر أن القرامطة يجمعون بين التجهم والرفض معاً»[1].

(٢٩) التكلف والتعمق واتباع الصعاب (منهج وسمة):

غالب أصول المتكلمين في أسماء الله وصفاته وأفعاله وغيرها لا يفهمها العامة ولا غالب المتعلمين -غير الحاذقين منهم- والعامة، وهؤلاء إنما يعتقدون ما جاء في ألفاظ القرآن والسنة -وهي عقيدة السلف- وهي تخالف تكلفات المتكلمين؛ فهم يرون أن أئمة الدين وأتباعهم من العامة على الباطل، أو يزعمون للعقيدة ظاهراً وباطناً أو هي عقيدتان للخاصة وأخرى للعامة. فلو استعرضت أسهل كتب المتكلمين -وليس منها سهل- لوجدته مليئاً بالعبارات الغامضة والمعاني الصعبة والفلسفات المعقدة والعقليات المحيرة، والتناقضات، والألغاز والأحاجي، بما يدل على التكلف والتعمق وارتكاب الصعاب للتعجيز والإغراب والغرور والتعالي والتعالم. نسأل الله العافية.

(٣٠) إعراضهم عن ذكر الله وشرعه (منهج وسمة):

قال شيخ الإسلام: «وأهل البدع -الجهمية ونحوهم- لما أعرضوا عن ذكر الله- الذكر المشروع الذي كان في الفطرة وجاءت به الشريعة، الذي يتضمن معرفته ومحبته وتوحيده- نسوا الله من هذا الوجه. فأنساهم أنفسهم من هذا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٣٠، ٥٣١ .

الـوجـه، فنسـوا مـا كـان في أنفسهم من العلم الفطـري، والمحبـة الفطـريـة، والتوحيد الفطري»[1].

(٣١) السرية والكتمان والنجوى في الدين (منهج وسمة):

النجوى من الشيطان، والأصل في الدين والسنة والدعوة، الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكـر، والنصيحـة لله تعالى ولـرسـوله وأئمـة المسلمين وعـامتهم، والإعلان والبيان وإقـامة الحجة بالحكمـة، والأصل في أصول الإيمان والإسلام وشعائر الدين الإظهار والإشهار.

أمـا السرية والنجـوى في هذه الأمـور فلا تكـون إلا لضرورة يقدرهـا أهل العلم وهي استثناء وليس أصلاً.

ولذلك كـان من سمات أهل الأهواء التقية والكتمان والسرية والنجـوى ما لم تكن لهم دولة وسلطان.

وقـد حذر السلف عن التنـاجي في الـدين، ذكر ابن الجوزي بسنـده عن عمـر بن عبد العـزيز: «إذا رأيت قـومـاً يتناجـون في دينهم بشيء دون العامـة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة»[2].

وعن معاذ بن معـاذ يقول: «قلت ليحيى بن سعيـد: يا أبا سعيـد، الرجل وإن كتم رأيه لم يخف ذاك في ابنه ولا صديقه ولا في جليسه»[3].

وعن محمد بن عبيد الله ، يقول: «كان يقال: يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة»[4].

---

(١) الفتاوى ١٦/ ٣٥٠ .

(٢) تلبيس إبليس ٨٩، والدارمي ١/ ٩١، واللالكائي ١/ ١٣٥ .

(٣،٤) الإبانة ٢/ ٤٧٩ .

وفي هذين النصين دليل على أن أهل الأهواء آنذاك يكتمون ما هم عليه إنما تظهر خائنتهم من لحن القول، ومن تآلفهم؛ لأن الطيور على أشباهها تقع.

(٣٢) فساد أصول أهل الأهواء التي أسسوا عليها مذاهبهم الفاسدة (منهج):

قسم شيخ الإسلام أصول أهل الأهواء إلى ثلاثة:

١ - الخوارج والوعيدية والمرجئة أصل بدعتهم من فهمهم الفاسد للنصوص.
٢ - والرافضة أصل بدعتهم تصديقهم النقل الكاذب.
٣ - والجهمية والفلاسفة بدعتهم مبنية على ما يقرّون أنه مخالف للأنبياء[١].

(٣٣) اعتقاد ما تتوهمه عقولهم (منهج):

أهل الكلام في خوضهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله وسائر أمور الغيب يتوهمون أموراً في عقولهم وخيالاتهم، ويتصورونها ثم يبنون على ذلك أحكاماً ويعتقدونها.

قال الذهبي: «المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولدة ما علمت أحداً سبقهم بها، قالوا: هذه الصفات تمر كما جاءت ولا تُؤوّل، مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد»[٢].

وذكر الذهبي: «أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة كما يتشكل في الذهن من وصف البشر، فهذا غير مراد»[٣].

قلت: هذا التوهم في الذهن هو الذي استقر في عقائد أهل الكلام فأرادوا أن ينفوه، فوقعوا في نفي الصفة، وحقيقتها ... فأتوا من قصور فهمهم وعجزهم وعدولهم عن فهم السلف الذي يعتمد على التسليم وعدم الخوض

---

(١) انظر درء التعارض ١/ ٨ .
(٢،٣) العلو للعلي الغفار ١٨٣ .

في الغيبيات، ويعدون -أعني السلف- علم الكلام، والفلسفة، والجدل، والعقليات، والمنطق مما لا سبيل فيها إلى اليقين وعليه فلا يبنى عليها عقيدة ولا تعارض بها النصوص وأصول الدين وما عليه السلف.

يقول شيخ الإسلام: «وأما ما يذكرونه من العلوم النظرية، فالصواب منها منفعته في الدنيا، وأما في العلم الإلهي فليس عندهم منه ما تحصل به النجاة والسعادة»[1].

والسلف لا يخوضون في تفسير الغيبيات إلا بما فسرها النبي ﷺ به.

قال شيخ الإسلام: «ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم»[2]، ثم قال:

«وأهل البدع إنما دخل عليهم الداخل لأنهم أعرضوا عن هذه الطريق، وصاروا يبنون دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها، إما في دلالة الألفاظ، وإما في المعاني المعقولة، ولا يتأملون بيان الله ورسوله، وكل مقدمات تخالف بيان الله ورسوله فإنها تكون ضلالاً» ثم ذكر الشاهد لذلك من كلام أحمد وغيره[3].

(٣٤) تستهويهم العقليات والفلسفات ويزينها لهم الشيطان (سمة):

من سمات أهل الأهواء أنهم تستهويهم مقولاتهم وينتشون بها نشوة تشبه السكر والثملان.

---

(١) الفتاوى ٩/ ٣٦.

(٢) الفتاوى ٧/ ٢٨٦.

(٣) الفتاوى ٧/ ٢٨٨.

ولذلك يتهافتون فيها ويتمادون وتتشعب بهم سبلها.

انظر -رحمك الله- إلى أهل الكلام واعتزازهم بكلامهم ومقولاتهم ثم تهافتهم عليها وتسارعهم في تقريرها ونشرها. والجرأة فيها على الله وعلى شرعه ودينه بكبرياء وغرور.

وهذا الاستهواء من أكبر أسباب انتشار الكلام في طائفة كبيرة من أهل العلم بعد القرون الثلاثة الأولى.

(٣٥) زعمهم أن عقيدة السلف مما لا يعقل (منهج):

يزعم أهل الأهواء أن الإقرار بالصفات كما جاءت لا يعقل، وأن الرؤية لا تعقل، وأن كلام الله واستواؤه ونحو ذلك مما وردت به النصوص لا يعقل لذلك سلكوا تأويله أو تعطيله.

قال الشاطبي: «فحكى أبو بكر بن العربي عن بعض من لقي بالمشرق من المنكرين للرؤية. أنه قيل له: هل يكفر من يقول بإثبات رؤية الباري أم لا؟ فقال: لا؛ لأنه قال بما لا يعقل، ومن قال بما لا يعقل لا يكفر قال ابن العربي: فهذه منزلتنا عندهم، فليعتبر الموفق فيما يؤدي إليه اتباع الهوى. أعاذنا الله من ذلك بفضله. وزل بعض المرموقين في زماننا في هذه المسألة، فزعم أن خبر الواحد كله زعم وهو ما حكى في الأثر «بئس مطية الرجل زعموا» والأثر الآخر «إياكم والظن فإنَّ الظن أكذب الحديث» وهذه من كلام هذا المتأخر وملة[1] عفا الله عنه»[2].

(٣٦) توهم المعارضة بين العقل والشرع (منهج):

من توهمات أهل الكلام زعمهم التعارض بين الشرع والعقل، مما دفعهم إلى النفي والتأويل والتعطيل والقول بالمجاز في الصفات وغيرها.

---

(١) لعله: زلله.

(٢) الاعتصام ١/ ٢٣٦.

قال ابن القيم: «إن الأصل الذي قادهم إلى النفي والتعطيل، واعتقاد المعارضة بين العقل والوحي أصل واحد، هو منشأ ضلال بني آدم وهو الفرار من تعدد صفات الواحد، وتكثر أسمائه الدالة على صفاته، وقيام الأمور المتجددة به، وهذا لا محذور فيه، وهو الحق الذي لا يثبت كونه سبحانه رباً وإلهاً وخالقاً إلا به ونفيه جحد للصانع بالكلية. وإنكار له، وهذا القدر اللازم لجميع طوائف أهل الأرض على اختلاف مللهم ونحلهم حتى لمن جحد الصانع بالكلية، وأنكره رأساً فإنه يضطر إلى الإقرار بذلك، وإن قام عنده ألف شبهة»[1].

(٣٧) مضاهاتهم للشرع والشارع (منهج وسمة):

قال الشاطبي: «والرابع أن المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع؛ لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجري على سننها، وصار هو المنفرد بذلك؛ لأنه حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون وإلا فلو كان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع، ولم يبق الخلاف بين الناس. ولا احتيج إلى بعث الرسل عليهم السلام. هذا الذي ابتدع في دين الله قد صير نفسه نظيراً ومضاهياً حيث شرع مع الشارع، وفتح للاختلاف باباً، ورد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع وكفى بذلك»[2].

(٣٨) ليس في أئمتهم من تجمع الأمة على أنه إمام هدى (سمة):

من السمات البينة (بحمد الله) لأهل الأهواء أنهم ليس فيهم ولا منهم من أئمة الهدى المقتدى بهم في الدين أحد، وإن اشتهر بعض رؤوسهم بأي نوع من أنواع الشهرة فإن أمره لا يخفى ولا يلتبس على أهل الحق والعدل، فكل إناء بما فيه ينضح.

---

(١) الصواعق ٤/ ١٢٢٠ .

(٢) الاعتصام ١/ ٥٠، ٥١ .

(٣٩) شؤمهم على الأمة وإسهامهم في نكباتها وفرقتها وهوانها وتسلط أعدائها (سمة):

من أعظم سمات أهل الأهواء شؤمهم على المسلمين في كل زمان وحيثما كانوا.

ويكفيك أخي القارىء أن تنتقل بذهنك إلى أحداث التاريخ المشهورة، والتي ألحقت بالمسلمين الذلة والفرقة والتشتت، تجدها من أهل الأهواء، وأمثلة ذلك أول فتنة فرقت الأمة فتنة السبئية، وقد أدت إلى قتل خليفة المسلمين الراشد عثمان -رضي الله عنه- ثم تمخضت عن الخوارج والشيعة.

ولما ظهرت القدرية والمعتزلة والجهمية فأفسدت عقائد طوائف من الأمة، وأوقعتها في الخصومات والمراء في الدين والفتنة في العقائد.

ولما تمكنت المعتزلة في الدولة ألزمت الأمة بالقول بالكفر (خلق القرآن) وامتحنت العلماء وعرضتهم للسيف والسجن والإهانة، والقول بخلاف الحق.

ولما تمكنت دويلات الرافضة والباطنية كالبويهية والعبيدية والقرامطة، قمعت السنة والحديث، وأظهرت البدع والإلحاد والزندقة والكفر، وقتلوا الحجاج وأخذوا الحجر الأسود، وعاثوا في الأرض فساداً وأباحوا المحرمات ومكنوا للنصارى من دخول ديار المسلمين.

ولمّا تمكن بعض الرافضة من الوزارة في آخر عهد الدولة العباسية والدويلات التي تلتها خانوا الأمة وأدخلوا التتار والنصارى ديار المسلمين ومكّنوهم فيها.

ولما تمكنت الطرق الصوفية والبدع من الدولة العثمانية في آخر عهدها ضعفت الأمة وذلت وعلقت أقدارها بغير الله، وتعلقت بالأضرحة والمشاهد

والشيوخ، فأصابها الذل والتشتت وسلط عليها الأعداء فمزقوها وفرقوا شملها.

ولا تزال الطرق الصوفية ببدعها ومحدثاتها من أعظم أسباب وهن الأمة وانحطاطها، ناهيك عن هيمنة الرافضة والباطنية وأهل الأهواء والبدع والعلمنة والإلحاد والإعراض عن دين الله وشرعه.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بعض الآثار السلبية من جراء تأثير أهل الأهواء وتمكينهم. من ذلك:

شؤم الجعد بن درهم على دولة بني أمية ومروان بن محمد:

قال: «وقد قيل: إن أول من عرف أنه أظهر في الإسلام التعطيل الذي تضمنه قول فرعون هو الجعد بن درهم، فضحى به خالد بن عبد الله القسري، وقال: أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، إني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه، وشكر له علماء المسلمين ما فعله، كالحسن البصري وغيره.

وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة؛ فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل، وانتصر لهم»[1].

أثر الباطنية في إظهار الزندقة والرفض والإلحاد:

قال: «ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم، وهو حقيقة قول فرعون «إنكار الصانع وإنكار عبادته» وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض فكان خيارهم

---

(١) الفتاوى ١٣/ ١٧٧ .

وأقربهم إلى الإسلام الرافضة وظهر بسببهم الرفض والإلحاد، حتى كان من كان ينزل الشام مثل بني حمدان الغالية ونحوهم متشيعين؛ وكذلك من كان من بني بويه في المشرق»[1].

أثر ابن سينا وأهل بيته (الباطنية الإسماعيلية) وشؤمهم على الدولة العباسية:

قال: «وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم، قال: وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة، وكان مبدأ ظهورهم من حين تولي المقتدر، ولم يكن بلغ بعد، وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية؛ ولهذا سمي حينئذ بأمير المؤمنين الأموي الذي كان بالأندلس، وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم، ويقول: لا يكون للمسلمين خليفتان، فلما ولي المقتدر قال هذا صبي لا تصح ولايته فسمي بهذا الاسم»[2].

وقال: «وكان بنو عبيد الله القداح الملاحدة يسمون بهذا الاسم، لكن هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين، وكان نسبهم باطلاً كدينهم؛ بخلاف الأموي والعباسي، فإن كليهما نسبه صحيح، وهم مسلمون كأمثالهم من خلفاء المسلمين»[3].

لما ظهرت البدع والنفاق والفجور سلط الله على المسلمين أعداءهم:

قال: «فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة، وأخذوا الثغور الشامية شيئاً بعد شيء، إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل الشام بأسوأ حال

---

(١) الفتاوى ١٣/ ١١٧ .
(٢) الفتاوى ١٣/ ١٧٧ .
(٣) الفتاوى ١٣/ ١٧٨ .

بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة؛ إلى أن تولى نور الدين الشهيد، وقام بما قام به من أمر الإسلام وإظهاره والجهاد لأعدائه، ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصارى فأنجدهم، وجرت فصول كثيرة إلى أن أخذت مصر من بني عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن سادي، وخطب بها لبني العباس؛ فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام مائة سنة»[1].

قال: «فكان الإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سبباً لخير الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة»[2].

وقال: «فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع سلط عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار؛ تحقيقاً لقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم. ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المؤمنين**﴾.

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام كانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم، فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع والإلحاد والفجور سلط عليهم الكفار، قال تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً، إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحسَنتُم لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ**

---

(١) الفتاوى ١٣/ ١٧٨ .
(٢) الفتاوى ١٣/ ١٧٩ .

﴿لِيَسُوۡءُا وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُوا الۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوۡا تَتۡبِيراً، عَسَى رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَافِرِينَ حَصِيراً﴾[1].

ظهور البدع والزندقة والإلحاد على أيدي الفرق سبب لدخول التتار بلاد المسلمين:

قال شيخ الإسلام:

«وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع، حتى أنه صنف الرازي كتاباً في عبادة الكواكب والأصنام وعمل السحر، سماه «السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم» ويقال: إنه صنفه لأم السلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه، وكان من أعظم ملوك الأرض، وكان للرازي به اتصال قوي، حتى أنه وصى إليه على أولاده، وصنف له كتاباً سماه «الرسالة العلائية في الاختيارات السماوية»[2].

أثر الجهمية والمعتزلة في فتنة القول بخلق القرآن وامتحان العلماء:

قال شيخ الإسلام: «ثم لما ولي الخلافة -يعني المأمون- اجتمع بكثير من هؤلاء -يعني الجهمية والمعتزلة- ودعا إلى قولهم في آخر عمره، وكتب -وهو بالثغر بطرسوس التي ببلدسيس- إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب كتاباً يدعو الناس فيه إلى أن يقولوا: القرآن مخلوق، فلم يجبه أحد، ثم كتب كتاباً ثانياً يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وإرساله إليه، فأجاب أكثرهم، ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد، وبقي اثنان لم يجيبا: الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح؛ فأرسلوهما إليه فمات قبل أن يصلا إليه، ثم

---

(١) الفتاوى ١٣/ ١٧٩، ١٨٠.

(٢) الفتاوى ١٣/ ١٨٠.

أوصى إلى أخيه أبي إسحاق، وكان هذا سنة ثماني عشرة ومائتين، وبقي أحمد في الحبس إلى سنة عشرين فجرى ما جرى من المناظرة حتى قطعهم بالحجة، ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه، وظهر مذهب النفاة الجهمية، وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه وإلا منعوه العطاء وعزلوه من الولايات، ولم يقبلوا شهادته، وكانوا إذا افتكوا الأسرى يمتحنون الأسير، فإن أجابهم افتدوه وإلا لم يفتدوه.

وكتب قاضيهم أحمد بن أبي دؤاد على ستارة الكعبة (ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم)، لم يكتب وهو (السميع البصير).

ثم ولي الواثق واشتد الأمر إلى أن ولي المتوكل فرفع المحنة وظهرت حينئذٍ السنة»[1].

قلت: لو كان شيخ الإسلام حياً لرأى مصداق قوله في واقع المسلمين الراهن بين هيمنة العلمانية، والأقليات الباطنية، والرافضية، والصوفية، والمقابرية، والله المستعان.

(٤٠) استمالتهم للعامة والغوغاء وأصحاب المطامع وسرعة استجابتهم لهم (منهج وسمة):

قال ابن القيم: «وانظر سرعة المستجيبين لدعاة الرافضة والقرامطة والجهمية، والمعتزلة، وإكرامهم لدعاتهم وبذل أموالهم وطاعاتهم لهم من غير برهان أتوهم به أو آية أروهم إياها، غير أنهم دعوهم إلى تأويل تستغربه النفوس، وتستطرفه العقول، وأوهموهم أنه من وظيفة الخاصة الذين ارتفعوا به عن طبقة العامة، فالصائر إليه معدود في الخواص، مفارق للعوام، فلم تر شيئاً من المذاهب الباطلة، والآراء الفاسدة، المستخرجة بالتأويل قوبل

---

(١) الفتاوى ١٣/ ١٨٣، ١٨٤ .

الداعي إليه، الآتي به، أولاً بالتكذيب له، والرد عليه، بل ترى المخدوعين المغرورين يجفلون إليه إجفالاً ويأتون إليه أرسالاً، تؤزهم إليه شياطينهم ونفوسهم أزا، وتزعجهم إليه إزعاجاً فيدخلون فيه أفواجاً، يتهافتون فيه تهافت الفراش في النار، ويثوبون اليه مثابة الطير إلى الأوكار، ثم من أعظم آفاته، سهولة الأمر على المتأولين في نقل المدعوين عن مذاهبهم، وقبيح اعتقادهم إليهم، ونسخ الهدى من صدورهم، فإنَّهم ربما اختاوا الدعوة إليه رجلاً مشهوراً بالديانة والصيانة، معروفاً بالأمانة»[1].

(٤١) أهل الأهواء يبتدعون أموراً ويجعلونها من الدين (منهج وسمة):

من مناهج أهل الأهواء وسماتهم أنهم يبتدعون أموراً ومقالات على أصولهم ومناهجهم الفاسدة وأهوائهم، ثم يزعمون أنها من الدين، ويوالون عليها ويعادون وقد يكفرون مخالفهم.

قال شيخ الإسلام: «لكن من شأن أهل البدع أنهم يبتدعون أقوالاً يجعلونها واجبة في الدين بل يجعلونها من الإيمان الذي لا بد منه ويكفرون من خالفهم فيها ويستحلون دمه كفعل الخوارج والجهمية والرافضة والمعتزلة وغيرهم، وأهل السنة لا يبتدعون قولاً ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ وإن كان مخالفاً لهم مستحلاً لدمائهم كما لم يكفر الصحابة الخوارج مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم»[2].

وقال: «والخوارج تكفر أهل الجماعة، وكذلك أكثر المعتزلة يكفرون من خالفهم، وكذلك أكثر الرافضة ومن لم يكفر فسق، وكذلك أكثر أهل الأهواء

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ٣٥٢، ٣٥٣.

(٢) منهاج السنة ٥/ ٩٥.

يبتدعون رأياً ويكفرون من خالفهم فيه، وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول ولا يكفرون من خالفهم فيه بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق كما وصف الله سبحانه وتعالى به المسلمين بقوله: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس، وأهل السنة نقاوة المسلمين فهم خير الناس للناس»[1].

(٤٢) يجعلون أهواءهم ديناً يدينون الله به (منهج وسمة):

فإن أهل الأهواء، حين أعرضوا عن الحق أو بعضه، دانوا بغير الحق من حيث يشعرون أو لا يشعرون، فمنهم من أضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، ومنهم من يحسب أنه من المهتدين، وأنه ممن يحسنون صنعاً.

فإن سائر أهل الأهواء فيما خالفوا فيه السنة يدينون بأهوائهم والميزان في ذلك ما كان عليه السلف؛ لأنه قد يوجد من أهل الأهواء من يكون فيه صلاح واستقامة في أمور وانحراف وهدى في أمور أخرى، فليست العبرة بالدعوة، ولا بمظاهر الصلاح والتقوى، إنما العبرة بشرع الله تعالى المتمثل بهدي السلف الصالح ونهج أهل السنة والجماعة فمن خالفهم في أصل من الأصول التي لا يسع فيها الاجتهاد فهو متبع لهواه أو مقلد على غير هدى.

فصاحب الهوى يدين الله تعالى بهواه، وربما يزعم أنه المحق وسواه مبطل، بل قد يوالي ويعادي على بدعته وهواه، وهو الغالب. نسأل الله تعالى أن يبصرنا بالحق ويعصمنا من الأهواء ومضلات الفتن.

وأضرب لذلك مثالين:

الأول: فيمن يسبون أصحاب رسول الله ﷺ أو بعضهم، فإنهم جعلوا ذلك من أصول دينهم، وعليه يوالون ويعادون.

---

(١) منهاج السنة ٥/ ١٥٨ .

الثاني: فيمن يـرون جـواز الخروج على الأئمـة والولاة العصـاة والفسـاق والظلمـة لمجـرد المعـاصي والفسق والظلم، وهـو مخالـف لمنهج السلف، فإن أصحاب هـذا الرأي يتـدينون به وربما يـرون وجوبه، وعليـه يوالـون ويعادون، وبعضهم يسميه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* * *

انتهى. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس
مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع
الحلقة الثالثة

المقدمة..... ٥
تمهيد..... ٩
أ - المقصود بالمناهج..... ٩
ب - المقصود بالسمات..... ٩
جـ- أن الحكم على الغالب..... ٩
د - الحكم على الرؤوس والأتباع مقلدون غالباً..... ١٠
هـ- صعوبة التمييز بين السمات والمناهج..... ١٠
أولاً: الملامح العامة لمناهج أهل الأهواء وأصولهم وسماتهم..... ١٢
أ - ما تتميّز به كل فرقة..... ١٢
ب - الأصول والمناهج والسمات العامة لسائر أهل الأهواء والافتراق..... ١٣
١ - الخلط في مصادر التلقي..... ١٣
٢ - الخلل في منهج الاستدلال..... ١٥
منهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة..... ١٥
منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع والافتراق.. ١٦
جـ - أنواع المناهج عند أهل الأهواء (في التلقي والاستدلال). ١٧
ثانياً: مناهج أهل الأهواء والبدع والافتراق وسماتهم تفصيلاً..... ١٩
(١) الخلل والإخلال في منهج التلقي والاستدلال..... ١٩
١ - رد النصوص التي تخالف أصولهم (منهج وسمة)..... ١٩
٢ - دعوى بعضهم أن النصوص لا تفي بالدين وتفصيلات

العقائد (منهج)..... ٢٣
٣ - رد الوحي بقواعد محدثة وأوهام (منهج)..... ٢٤
٤ - فساد تصورهم عن النبوة ومن ثم الوحي وكلام الله (منهج وسمة)..... ٢٦
٥ - تركهم للسنة والآثار إذا لم توافق هواهم وزعمهم الاكتفاء بالقرآن (منهج وسمة)..... ٢٦
٦ - الطعن في خبر الآحاد (منهج)..... ٢٧
٧ - أهل الأهواء يدَّعون أن نصوص الصفات ونحوها من المتشابه (منهج)..... ٣٠
٨ - دعواهم أن الأدلة الشرعية ظنية وأن معقولاتهم وأوهامهم قطعية (منهج)..... ٣٠
٩ - استعمال الأقيسة العقلية في صفات الله وسائر أصول العقيدة (منهج)..... ٣١
١٠ - اعتمادهم على التأويل والتعطيل في صفات الله تعالى وسائر العقيدة (منهج)..... ٣٣
المراحل التي سلكها أهل الأهواء في رد النصوص..... ٣٦
١١ - الاعتماد على الكذب والوضع وما لا أصل له في الدين (منهج وسمة)..... ٣٧
١٢ - التمسك بظواهر من النصوص دون مراعاة قواعد الاستدلال (منهج)..... ٣٨
١٣ - قولهم بالمجاز في العقائد (منهج)..... ٣٨
١٤ - تعظيمهم طريق الفلاسفة في تقرير الدين (منهج وسمة)..... ٣٩
١٥ - زعمهم أن قواعدهم هي المحكم وألفاظ الشرع هي

المتشابه (منهج)..... ٤٠
١٦ - اعتمادهم في تقرير العقيدة على أصولهم الفاسدة وقد يذكرون الدليل الشرعي للاعتضاد (منهج وسمة)..... ٤١
١٧ - دعواهم أن الرسول ﷺ عدل عن بيان الحق للناس ليجتهدوا في التأويل (منهج)..... ٤٣
١٨ - دعواهم أن الرسول ﷺ لم يتكلم في صفات الله (منهج) ٤٤
١٩ - وضع الدليل في غير ما يدل عليه (منهج)..... ٤٥
٢٠ - كراهيتهم لنصوص الصفات والتوحيد وطعنهم في رواتها من الأئمة (سمة)..... ٤٥
٢١ - تسميتهم أصولهم الباطلة أصول الدين والتوحيد (منهج)..... ٤٦
٢٢ - ومن أصولهم في الاستدلال قياس الغائب على الشاهد (منهج)..... ٤٦
٢٣ - عدم عنايتهم بالرواية والأسانيد (منهج وسمة)..... ٤٧
٢٤ - جهلهم باللغة أو تجاهلها وعدم اعتبارها (منهج وسمة) ٤٨
(٢) انحرافهم في مفهوم التوحيد وتقريره (منهج وسمة)..... ٤٨
فالجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم من متأخري الرافضة والخوارج وأهل الكلام حقيقة التوحيد عندهم تنتهي بالتعطيل..... ٥٠
تعريف التوحيد عند أهل الأهواء..... ٥١
وقوعهم في تقرير التوحيد فيما نهى الله عنه..... ٥١
وكذلك تباينت مفاهيمهم وتعددت مناهجهم في تقرير التوحيد وإثباته..... ٥٢
قول شيخ الإسلام في وصف منهج أهل الكلام في إثبات التوحيد.. ٥٣
(٣) من أعظم سمات أهل الأهواء عموماً الجهل (سمة)..... ٥٤

١ - جهلهم بما دل عليه الكتاب والسنة وآثار السلف (سمة).. ٥٤
٢ - سوء الأدب مع الله تعالى والخوض في أسمائه وصفاته بغير علم (سمة)..... ٥٨
٣ - عدم رسوخهم في العلم (سمة)..... ٥٩
٤ - من جهلهم زعمهم أن طريقة الخلف أعلم وأحكم..... ٦٠
٥ - حصرهم الحق في أنفسهم وتجاهلهم لأهل السنة..... ٦٢
٦ - من جهلهم ينسبون أقوالهم للسلف فيما يناقض مذهب السلف أصلاً..... ٦٢
(٤) الخصومات والمراء والجدال بغير حق (منهج وسمة)..... ٦٤
(٥) اتباع الأهواء والظنون (منهج وسمة)..... ٦٦
(٦) من منهج أهل الأهواء وسماتهم التلبيس (منهج وسمة)..... ٦٩
١ - دعواهم أنهم أهل الحق والتوحيد والعدل والاستقامة والسنة..... ٧٠
٢ - ومن التلبيس جعلهم السنة بدعة والبدعة سنة..... ٧٠
٣ - من تلبيسهم إلحاق البدع المحدثة بالعمل المشروع..... ٧١
٤ - ومن تلبيسهم قلب الحقائق والتلاعب بالألفاظ..... ٧٢
ومن تلبيسات أهل الأهواء استعمال الألفاظ المجملة والمحتملة وعدم مصادمة النصوص..... ٧٣
٥ - ومن التلبيس زعمهم أن بعض السلف على مذاهبهم.... ٧٤
٦ - وتسميتهم مذهب السلف في إثبات الصفات تشبيهاً وأنواع أخرى من الأوصاف والألقاب الشائنة تلبيساً وتمويهاً..... ٧٥
(٧) التناقض والاضطراب والتلون والحيرة (سمات)..... ٧٩
١ - التناقض والاضطراب في الاستدلال..... ٨٢

٢ - تناقض أهل الأهواء والافتراق في جميع الأصول..... ٨٢
٣ - من مظاهر التناقض عندهم الوقوع في نقيض القصد..... ٨٦
٤ - الخلط بين السنن والمحدثات والبدع..... ٨٦
٥ - الجمع بين المتناقضات في الاعتقادات..... ٨٧
٦ - ليس عند أهل الأهـواء قطعيات ولا يقين في حقيقـة الأمر
إلا ما جاء به الرسول ﷺ..... ٨٨
٧ - مقدماتهم التي يعولون عليها يختلفون فيها ويناقضونها... ٨٩
٨ - التنقل وعدم الاستقرار على رأي..... ٩٠
٩ - الحيرة والشك والاضطراب في تقرير مقالاتهم الفاسدة... ٩٠
١٠ - الاضطراب والتناقض في موقفهم من السلف..... ٩١
١١ - اضطرابهم وإفلاسهم واعترافهم بذلك في نهاية الأمر... ٩٢
١٢ - الانحـراف عنـد أهل الأهــواء أنـواع شتى (لكل منهم
وجهة)..... ٩٣
١٣ - كل منهم يقول عن الآخر إنه ليس على شيء..... ٩٤
(٨) الغل على المسلمين وسب السلف ولمزهم (منهج وسمة)..... ٩٥
فائدة هامة..... ٩٦
١ - الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ..... ٩٧
٢ - بغضهم للحديث والإسناد وأهله..... ٩٨
٣ - كذبهم وتقولهم على الأئمة العلماء..... ٩٨
٤ - لمز السلـف أهــل الحديث والسنـة وتعييرهـم وسبهـــم
وبغضهم أو بعضهم ١٠٠
فائدة..... ١٠٣
فائدة..... ١٠٧
٥ - ومن منهجهم وسماتهم تضليل أئمة الإسلام..... ١٠٨

٦ - ومن ذلك تسميتهم أهل السنة حنابلة..... ١٠٨
٧ - جهلهم بمذهب السلف أو تجاهلهم له..... ١٠٨
(٩) موقفهم العدائي مع المخالفين (منهج وسمة)..... ١٠٩
١ - موافقهم من المخالفين إجمالاً..... ١١٠
٢ - مواقفهم من المخالفين التضييق والإلزام بالباطل..... ١١٠
٣ - يبتدعون البدعة ويكفرون مخالفها..... ١١١
٤ - استنكار السنة والتضييق على أهلها..... ١١٢
(١٠) الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم واستحلال السيف (منهج وسمة)..... ١١٣
(١١) الإصرار على بدعهم فلا يهتدون ولا يوفقون للتوبة ولا يقبل منهم عمل (سمة)..... ١١٦
طائفة من الأحاديث وأقوال السلف..... ١١٧
سبب عدم قبول توبة المبتدعة..... ١٢١
(١٢) الإكثار من حشو الكلاميات ومن الكتب والمصنفات والردود (منهج وسمة)..... ١٢٢
(١٣) قلة البركة وقلة الفائدة في مصنفاتهم وعلمهم (سمة)..... ١٢٣
(١٤) حرصهم على نشر بدعهم وقوة تأثيرهم فيمن يخالطهم (منهج وسمة)..... ١٢٣
(١٥) التعالم والغرور (سمة)..... ١٢٦
ومن غرورهم وخذلانهم ظنهم أنهم ينصرون الإسلام..... ١٢٨
(١٦) وقوعهم في الإثم (سمة)..... ١٢٩
(١٧) وقوعهم في التقصير أو التعبد غير المشروع والورع الكاذب بين الغلو والتقصير (منهج وسمة)..... ١٢٩
وهم كذلك أكثر استحلالاً للمحرمات لفساد أصولهم..... ١٣١

ومن ذلك أن أهل الأهواء أقل حمداً لله تعالى وشكراً..... ١٣٢
(١٨) استحواذ الشياطين والجن على طوائف منهم (سمة)..... ١٣٢
(١٩) الجرأة على الله ورسوله وعلى الدين (منهج وسمة)..... ١٣٤
(٢٠) من سمات أهل الأهواء الذلة والصغار (سمة)..... ١٣٥
(٢١) أصولهم كلها مخترعة مبتدعة ليس لهم فيها قدوة من أعلام الهدى الأئمة الأعلام (منهج)..... ١٣٦
(٢٢) زعمهم أنهم يعظمون الله ومبالغتهم في ذلك (منهج وسمة).. ١٣٧
(٢٣) ترك ما أمر الله به والإخلال بالأصول المأمور بها (منهج وسمة) ١٣٨
(٢٤) تقرير قواعد فاسدة والقول بلوازمها (منهج)..... ١٣٩
وللمتكلمين في تأويلهم للصفات قاعدة فاسدة..... ١٤٠
(٢٥) القعود عن الجهاد وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (منهج وسمة)..... ١٤٠
(٢٦) تقربهم للملوك والسلاطين (سمة)..... ١٤١
(٢٧) يكتبون ما لهم ويعلنونه ويكتمون ما عليهم ويتجاهلونه (منهج وسمة)..... ١٤١
(٢٨) تدرجهم في الباطل (منهج وسمة)..... ١٤١
(٢٩) التكلف والتعمق واتباع الصعاب (منهج وسمة)..... ١٤٢
(٣٠) إعراضهم عن ذكر الله وشرعه (منهج وسمة)..... ١٤٢
(٣١) السرية والكتمان والنجوى في الدين (منهج وسمة)..... ١٤٣
(٣٢) فساد أصول أهل الأهواء التي أسسوا عليها مذاهبهم الفاسدة (منهج)..... ١٤٤
(٣٣) اعتقاد ما تتوهمه عقولهم (منهج)..... ١٤٤
(٣٤) تستهويهم العقليات والفلسفات ويزينها لهم الشيطان (سمة)..... ١٤٥

(٣٥) زعمهم أن عقيدة السلف مما لا يعقل (منهج)..... ١٤٦
(٣٦) توهم المعارضة بين العقل والشرع (منهج)..... ١٤٦
(٣٧) مضاهاتهم للشرع والشارع (منهج وسمة)..... ١٤٧
(٣٨) ليس في أئمتهم من تجمع الأمة على أنه إمام هدى (سمة).... ١٤٧
(٣٩) شؤمهم على الأمة وإسهامهم في نكباتها وفرقتها وهوانها وتسلط أعدائها (سمة)..... ١٤٨
شؤم الجعد بن درهم على دولة بني أمية ومروان بن محمد..... ١٤٩
أثر الباطنية في إظهار الزندقة والرفض والإلحاد..... ١٤٩
أثر ابن سينا وأهل بيته (الباطنية الإسماعيلية) وشؤمهم على الدولة العباسية..... ١٥٠
لما ظهرت البدع والنفاق والفجور سلط الله على المسلمين أعداءهم ١٥٠
ظهور البدع والزندقة والإلحاد على أيدي الفرق سبب لدخول التتار بلاد المسلمين..... ١٥٢
أثر الجهمية والمعتزلة في فتنة القول بخلق القرآن وامتحان العلماء..... ١٥٢
(٤٠) استمالتهم للعامة والغوغاء وأصحاب المطامع وسرعة استجابتهم لهم (منهج وسمة)..... ١٥٣
(٤١) أهل الأهواء يبتدعون أموراً ويجعلونها من الدين (منهج وسمة)..... ١٥٤
(٤٢) يجعلون أهواءهم ديناً يدينون الله به (منهج وسمة)..... ١٥٥
الفهرس..... ١٥٧